مؤلفات : ماركس انجلس لينين

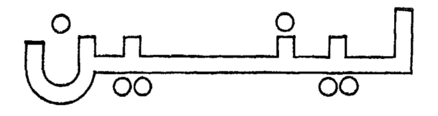
لينين



الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي

مارکس
انجلس
لینین

يا عمال العالم ، اتحدوا !



الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي

دار التقدم
موسكو

ترجمة الياس شاهين

Ленин В. И.

ПРОЛЕТАРСКАЯ РЕВОЛЮЦИЯ
И РЕНЕГАТ КАУТСКИЙ

На арабском языке

من الدار

تمت هذه الترجمة لكتاب لينين «الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي» وكذلك الملحقين المنشورين فيه نقلا عن مجلدى الطبعة الخامسة لمؤلفات لينين التي اعدها معهد الماركسية-اللينينية التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي .

طبع في الاتحاد السوفييتي

Л $\frac{0101020000—649}{014(01)—86}$ без объявл.

مقدمة

ان كراس كاوتسكي (١) «ديكتاتورية البروليتاريا» الذي صدر مؤخراً في فيينا Wien, 1918, Ignaz Brand صفحة ٦٣) ، هو من أشد الأمثلة سطوعاً على افلاس الأممية الثانية ، الافلاس الكامل والمخزي الذي يتحدث عنه منذ زمن طويل جميع الاشتراكيين الشرفاء في جميع البلدان . ان مسألة الثورة البروليتارية ترد اليوم ، عملياً ، على بساط البحث في جملة كاملة من الدول . ولذا كان من الضرورة تحليل ما اقترفه كاوتسكي من سفسطات مرتدة وجحود كلي للماركسية .

ولكنه لا بد من الاشارة أولا الى أن كاتب هذه الأسطر قد اضطر مرارا عديدة ، منذ بداية الحرب ، الى ذكر قطيعة كاوتسكي مع الماركسية . فمن ١٩١٤ الى ١٩١٦ ، ظهرت طائفة من المقالات بهذا الصدد في «سوسيال-ديموقراط» و«كومونيست» (٢) ، اللتين تصدران في الخارج . وقد جُمعت هذه المقالات في مجلد واحد أصدره سوفييت بتروغراد : غ . زينوفييف ون . لينين : «ضد التيار» ، بتروغراد ، ١٩١٨ (٥٥٠ صفحة) . وفي كراس صدر في جينيف عام ١٩١٥ ، وترجم في العام نفسه الى الألمانية والفرنسية (٣) ، قلت بصدد «الكاوتسكية» ما يلي :

«ان كاوتسكي ، أكبر شخصية نافذة في الأممية الثانية (٤) ، يعطي مثالا فذا نموذجياً ساطعاً على الطريقة التي يؤدي فيها الاعتراف الشفوي بالماركسية الى تحويلها بالفعل الى «ستروفية» أو الى «برينتانية» (أي الى مذهب ليبيرالي برجوازي يعترف بنضال البروليتاريا «الطبقي» غير الثوري ، الأمر الذي عبَّر عنه الكاتب الروسي ستروفه والاقتصادي الألماني برينتانو (٥) أسطع التعبير) . وعلى هذا نرى مثالا آخر في بليخانوف (٦) . فبواسطة سفسطات خالصة ، يفرِّغون الماركسية من روحها الحية ، الثورية . ويقبلون **كل شيء** في الماركسية ، **باستثناء** وسائل

النضال الثورية ونشرها وتحضيرها ، وتربيـــة الجماهير بهذه الروح بالذات . وخلافاً لكل مبدأ ، «يوفّق» كاوتسكي بين الفكرة الأساسية في الاشتراكية-الشوفينية ، فكرة الدفاع عن الوطن فى الحرب الراهنة ، وبين التنازلات الديبلوماسيـــة والمتباهيـــة لليساريين ، كالامتناع عن التصويت بالموافقة على الاعتمادات والاعتراف الشفوي بالمعارضة الخ . . ان كاوتسكي الذي كتب في عام ١٩٠٩ كتاباً كاملاً عن دنو عهد من الثورات وعن ارتباط الحرب بالثورة ؛ كاوتسكي الذي وقع في عام ١٩١٢ على بيان بال (٧) حول الاستفادة ثورياً من الحرب الزاحفة ، يبذل قصارى جهده اليوم لتبرير الاشتراكية-الشوفينية وتمويهها بكل الطرق . وهو ، مثل بليخانوف ، ينضم الى البرجوازية ليسخر من كل فكرة عن الثورة ، ومن كل اجراء يرمي الى نضال ثوري مباشر .

ان الطبقة العاملــة لا تستطيـــع بلوغ هدفها الثوري العالمي اذا لم تناضل بلا هوادة ضد هذا الارتداد ، وهذه الميوعة ، وهذا الاستخذاء أمام الانتهازية ، وهذا التحقير النظري للماركسية الذي لا مثيل له . ان الكاوتسكية ليست من فعل الصدفة ، انما هي النتاج الاجتماعي لتناقضات الأممية الثانية ، والجمع بين الأمانـــة للماركسيـــة قولاً والخضوع للانتهازيـــة فعلاً» (غ زينوفييف ون . لينين : «الاشتراكيـة والحـرب» ، جينيـــف ، ١٩١٥ ، ص ١٣-١٤) .

ثم في كتاب آخر كتبته عام ١٩١٦ – «الامبريالية مرحلـــة جديدة في الرأسمالية» (٨) (صدر في بتروغراد عام ١٩١٧) – حللت بالتفصيل الخطأ النظري الذي اتصفت به جميع محاكمات كاوتسكي عن الامبريالية . وأوردت التعريف الذي أعطاه كاوتسكي عن الامبريالية : «الامبريالية هي نتاج الرأسمالية الصناعيـــة المتطورة جداً . وهي تتلخص بنزوع كل أمة رأسمالية صناعية الى أن تلحق بنفسها أو أن تستعبد أكثر ما يمكن من الأقطار **الزراعية** (حرف التشديد لكاوتسكي) بصرف النظر عن الأمم التي تقطنها» . وبيّنت أن هذا التعريف خاطىء اطلاقاً ، وانه «مكيف» بشكل يخفي أعمق تناقضات الامبريالية ويؤول بالتالي الى مسالمة الانتهازية . وأعطيت تعريفي الخاص عن الامبريالية : «فالامبريالية هي الرأسمالية عندما تبلغ من التطور درجة تكونت فيها سيطرة

الاحتكارات والرأسمال المالي واكتسب فيها تصدير الرأسمال أهمية كبرى وابتدأ تقسيم العالم بين التروستات العالمية وانتهى تقسيم جميع أقطار الأرض بين كبريات البلدان الرأسمالية» . وبينت أن نقد الامبريالية ، عند كاوتسكي ، أدنى حتى من نقدها البرجوازي ، المبتذل .

وأخيراً ، في آب (اغسطس) وأيلول (سبتمبر) ١٩١٧ ، أي قبل الثورة البروليتارية الروسية (٢٥ تشرين الأول – أكتوبر – حسب التقويم القديم – ٧ تشرين الثاني – نوفمبر – حسب التقويم الجديد – ١٩١٧) ، كتبت كراس «الدولة والثورة . تعاليم الماركسية حول الدولة ، ومهمات البروليتاريا في الثورة» وقد صدر هذا الكراس في مطلع عام ١٩١٨ في بتروغراد ، وفي الفصل السادس منه ، «ابتذال الانتهازيين للماركسية» ، أوليت كاوتسكي انتباهاً خاصاً لكي أثبت أنه شوه كلياً مذهب ماركس ، وانه كيّف هذا المذهب وفقاً للانتهازية ، وانه «ارتد فعلاً عن الثورة رغم اعترافه بها قولاً» .

ان الخطأ النظري الأساسي الذي اقترفه كاوتسكي في كراسه الذي يبحث موضوع ديكتاتورية البروليتاريا ، انما يقوم على وجه الدقة ، من حيث الجوهر ، في هذه التشويهات الانتهازية لمذهب ماركس عن الدولة ، وقد سبق لي أن دحضتها بصورة مفصلة في كراسي «الدولة والثورة» .

هذه الملاحظات الأولية كان لا بدّ منها ، لأنها تبرهن أني اتهمت كاوتسكي جهاراً بأنه سار في طريـــق الارتداد **قبل** أن يستلم البلاشفة زمام السلطة ، **بزمن طويل** ، ويدينهم كاوتسكي لهذا السبب بالذات .

كيف حوّل كاوتسكي ماركس الى ليبيرالي مبتذل

ان القضية الأساسية التي يعالجها كاوتسكي في كراسه هي قضية محتوى الثورة البروليتارية الجذري ، أي ديكتاتوريـــة البروليتاريا . وتلك قضية على أعظم جانب من الأهمية بالنسبة لجميع البلدان ، ولا سيما بالنسبة للبلدان المتقدمة ، لاسيما

بالنسبة للبلدان المتحاربة ، لا سيما في الوقت الحاضر .. ويمكن القول دون مبالغة ان تلك هي القضية الرئيسيــــة في كل النضال الطبقي البروليتاري . ولذا كان من المهم دراستها عن كثب .

ان كاوتسكي يضع القضية بمعنى أن «التضاد بين التيارين الاشتراكيين» (أي تيار البلاشفة وتيار غير البلاشفة) هو «التضاد بين طريقتين مختلفتين جذرياً : الطريقة **الديموقراطية** والطريقة **الديكتاتورية**» (ص ٣) .

ونلاحظ ، عرضاً ، أن كاوتسكي ، اذ يسمى غير البلاشفة الروس ، أي المناشفـــــة والاشتــــراكيين الثوريين (٩) ، بالاشتراكيين ، انما يستند الى **اسمهم** أي الى كلمة ، لا الى **المكان** الذي يشغلونه **فعلاً** في نضال البروليتاريا ضد البرجوازية . فيا لها من طريقة رائعة لفهم الماركسية وتطبيقها ! ولكننا سنعود الى هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد .

أما الآن ، فلنبحث النقطة الرئيسية ، ونعني بها الاكتشاف الكبير الذي توصل اليه كاوتسكي حول «التضاد الجذري» بين «الطريقتين الديموقراطية والديكتاتورية» . فهنا عقدة القضية . هنا جوهر كراس كاوتسكي كله . وهنا خلط نظري فظيع وارتداد مطلق عن الماركسية الى حد أنه ينبغي لنا أن نقر بأن كاوتسكي قد تجاوز برنشتين (١٠) شوطاً بعيداً .

ان قضية ديكتاتورية البروليتاريا هي قضية موقف الدولة البروليتارية من الدولة البرجوازية ، قضية موقف الديموقراطية البروليتارية من الديموقراطية البرجوازية . وهذا واضح وضوح الشمس . ولكننا نرى كاوتسكي يصر بعناد على ادارة ظهره للقرن العشرين وادارة وجهه للقرن الثامن عشر ، شأنه شأن معلـــم مدرسة تسمّر على كتب التاريخ المدرسية ، ويلوك ويجتر ، بصورة مملة وللمرة المئة ، في جملة كاملة من المقاطع ، العفاشة القديمة حول موقف الديموقراطية البرجوازية من الحكم المطلق والقرون الوسطى !

وقد يحمل المرء ، حقاً ، على الظن أنه يجتر ويحلم !

ان هذا يعني أن كاوتسكي لم يفهم شيئاً على الاطلاق من كنه الأمور ولا بدّ للمرء أن يبتسم لما يبذله كاوتسكي من جهود لكي يثبت أن ثمة من يدعون الى «ازدراء الديموقراطية» (ص ١١) ،

الخ . . فالى مثل هذه التوافـــه ، يضطر كاوتسكي لكي يطمس القضية ويشوشها ، لأنه يطرح المسألة كليبيرالى ، أي أنه يطرح مسألة الديموقراطية بوجه عام ، لا مسألة الديموقراطية **البرجوازية** بل انه يتجنب هذا المفهوم الطبقي ، الدقيق ، ويحاول التحدث عن الديموقراطية «ما قبل الاشتراكية» . ان صاحبنـــا كاوتسكي ،، أشبه بطاحونة كلام ، قد ملأ ما يقرب من ثلث كراسه (٢٠ صفحة من أصل ٦٣) بثرثرة تطرب البرجوازية كثيراً ، لأنها تزّين وجه الديموقراطية البرجوازية وتطمس قضيـــــة الثورة البروليتارية .

ومع ذلك ، يحمل كراس كاوتسكـــي اســـم «ديكتاتوريـــة البروليتاريا» . ان تكون ديكتاتورية البروليتاريا هي **جوهر** مذهب ماركس ، الا أن الجميع يعرفون ذلك . ولذا **اضطر** كاوتسكي ، بعد كل هذه الثرثرة على هامش الموضوع ، الى الاستشهاد بأقوال ماركس حول ديكتاتورية البروليتاريا .

امـــا **كيف** استشهد «الماركسي» كاوتسكي باقوال ماركس ، فتلك أطرف المساخر ! الأحرى أن تسمعوا ما يقول :

«ان وجهة النظر هذه» (التي يقول كاوتسكي عنها انها ازدراء الديموقراطية) «ترتكز على كلمة واحدة لكارل ماركس» . هذا ما نقرأه حرفياً في الصفحة ٢٠ . وهو يكرر قوله هذا في الصفحة ٦٠ ويبلغ به الأمر حد القول ان (البلاشفة) «تذكروا في الوقت المناسب الكُليْمة» (حرفياً ! ! des Wörtchens) «التى استعملها ماركس ذات مرة ، عام ١٨٧٥ ، في احدى رسائله ، حول ديكتاتورية البروليتاريا» .

أما هذه «الكُليْمة» التي استعملها ماركس ، فهي التالية :

«بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الشيوعي ، تقع مرحلة تحول المجتمع الرأسمالي تحولاً ثورياً الى المجتمع الشيوعي . وتناسبها مرحلة انتقال سياسي لا يمكن أن تكون الدولة فيها سوى الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا» (١١) .

أولاً ، ان القول عن هذا الرأي الشهير الذي أعطاه ماركس والذي يوجز كل نظريته الثورية بأنه «كلمـــة واحدة» أو حتى «كليمة» ، انما يعني الهزء بالماركسية ، والارتداد التام عنهـــا . وينبغي ألا ننسى أن كاوتسكي يعرف ماركس كله تقريباً عن ظهر

قلب ، وان لديه في مكتبه أو في رأسه ، اذا حكمنا على كتاباته ، جملة من الأدراج وزع فيها بعناية كل ما كتبه ماركس ، لكي يتمكن من اللجوء بسهولة الى الاستشهادات . ولذا فان كاوتسكي **لا يمكن له الا يعرف** أن ماركس وانجلس أيضاً قد تحدثا مراراً عدة عن ديكتاتورية البروليتاريا ، سواء في رسائلهما أو في مؤلفاتهما المطبوعة ، قبل الكومونة ولاسيما بعدها . كذلك ، ان كاوتسكي لا يمكن له الا يعرف أن صيغة «ديكتاتورية البروليتاريا» ليست سوى تعبير ، أقرب الى الواقع من الناحية التاريخية وأدق من الناحية العلمية ، لمهمة البروليتاريا التالية : «تحطيم» آلة الدولة البرجوازية ، وهي المهمة التي تحدث عنها ماركس وانجلس على حد سواء من ١٨٥٢ الى ١٨٩١ ، أي **خلال أربعين سنة** ، بالاستناد الى تجربة ثورة ١٨٤٨ والى تجربة ثورة ١٨٧١ خاصة .

فكيف نفسر هذا التحريف الفظيع للماركسية من جانب كاوتسكي ، هذا الحافظ للماركسية ؟ اذا رأينا الى أساس هذه الظاهرة الفلسفي ، تبين لنا أنها تقتصر على احلال الاختيارية والسفسطائية محل الديالكتيك . وقد برع كاوتسكي في هذا الباب . أما من الناحية السياسية العملية ، فان هذه الظاهرة تعني الاستخذاء أمام الانتهازيين أي أمام البرجوازية ، في آخر المطاف . ان كاوتسكي ، الذي يتقدم بسرعة متزايدة منذ بداية الحرب (١٢) ، قد برع في فن أن يكون ماركسياً بالأقوال وخادماً ذليلاً للبرجوازية بالأفعال .

واننا لنزداد اقتناعاً بهذا الحكم على كاوتسكي اذا ما تفحصنا الطريقة الفذة التي «فسّر» بها «كليمة» ماركس حول ديكتاتورية البروليتاريا . اسمعوا :

« لقد اغفل ماركس ، مع الأسف ، ان يوضح بمزيد من التفصيل كيف يتصور هذه الديكتاتورية . . . » (وانها لجملة كاذبة اطلاقا خليقة بمرتد ، لان ماركس وانجلس قد اعطيا على وجه الضبط جملة من الايضاحات المفصلة تفصيلا ، الا ان كاوتسكي ، هذا الحافظ للماركسية ، قد طرحها جانبا ، قصدا وعمدا) « . . . ان كلمة ديكتاتورية تعني حرفيا الغاء الديموقراطية . ولكنه غني عن البيان ان هذه الكلمة تعني حرفيا ايضا السلطة الشخصية التي يتمتع بها فرد واحد غير مقيد باى قانون . وهذه السلطة تختلف عن

الاستبداد بمعنى انه لا يقصد بها مؤسسة حكومية دائمة بل تدبير متطرف موقت .

ان تعبير «ديكتاتورية البروليتاريا» ، وبالتالي ديكتاتورية طبقة واحدة ، لا ديكتاتورية فرد واحد ، يدل على ان ماركس لا يقصد هنا الديكتاتورية بمعني الكلمة الحرفي .

فهو لا يقصد بهذا التعبير **شكل الحكم** بل **الحالة** التي ينبغي ان تظهر بالضرورة في كل مكان تستولى فيه البروليتاريا على السلطة السياسية . ومما يثبت ان ماركس لم يقصد هنا شكل الحكم هو ، على الاقل ، انه يعتبر ان الانتقال في انجلترا واميركا يمكن ان يتم بصورة سلمية ، اى عن الطريق الديموقراطية» (ص ٢٠) .

لقد أوردنا قصداً وعمداً هذه المحاكمة بكليتها لكي يتمكن القارىء من تكوين فكرة واضحة عن الأساليب التي يلجأ اليها «النظري» كاوتسكي .

لقد شاء كاوتسكي أن يبدأ بحث المسألة بتعريف **ل«كلمة»** ديكتاتورية .

حسن جداً ! فانه لحق مقدس لكل امرىء أن يبدأ بحث المسألة كما يريد . الا أنه ينبغي فقط التمييز بين الطريقة الجدّية والشريفة والطريقة غير الشريفة . فمن يبدأ بحث المسألة على هذا النحو ويقصد أن يعالجها بصورة جدية ، ترتب عليه أن يعطى **تعريفه الخاص** لهذه «الكلمة» . واذ ذاك ، توضع القضية بشكل جلي صريح . ولكن كاوتسكي لا يتقيد بهذا الشرط . فقد كتب يقول : «ان كلمة ديكتاتورية تعني حرفياً الغاء الديموقراطية» .

أولاً ، ليس هذا بتعريف . فان كان يطيب لكاوتسكي التهرب من تعريف مفهوم الديكتاتورية ، فلماذا اختار هذه الطريقة في بحث المسألة ؟

ثانياً ، هذا خطأ فاضح . طبيعي أن يتحدث الليبيرالي عن «الديموقراطية» بوجه عام . أما الماركسي ، فلن ينسى أبدا أن يطرح السؤال التالي : «في مصلحة أية طبقة ؟» . فكل امرىء يعرف ، مثلاً ، — وكذلك «المؤرخ» كاوتسكي ، — ان انتفاضات الأرقاء في الأعصر القديمة ، وحتى هيجاناتهم الكبرى ، كانت تكشف فوراً جوهر الدولة القديمة ، الذي هو **ديكتاتورية مالكي الأرقاء** .

ولكن ، هل كانت هذه الديكتاتورية تقضي على الديموقراطية بين مالكي الأرقاء ، في **مصلحتهم** ؟ الجميع يعرفون ان كلا .

وهكذا جاء «الماركسي» كاوتسكي بفكرة خرقاء فظيعة تغاير الحقيقة والواقع لأنه «**نسي**» نضال الطبقات . . .

ولكي نجعل من صيغة كاوتسكي الليبيرالية الكاذبة صيغة ماركسية تنطبق على الحقيقة ، ينبغي أن نقول : ان الديكتاتورية لا تعني بالضرورة الغاء الديموقراطية بالنسبة للطبقة التي تمارس هذه الديكتاتورية على الطبقات الأخرى ، بل تعني بالضرورة الغاء الديموقراطية (أو الحد منها بشكل ملحوظ ، وهو كذلك شكل من أشكال الالغاء) بالنسبة للطبقة التي تمارس الديكتاتورية ازاءها أو ضدها .

ومهما تكن هذه الصيغة صحيحة ، الا أنها لا تعرف الديكتاتورية .

لنر الآن الى جملة كاوتسكي التالية :

« . . . ولكنه غنى عن البيان ان هذه الكلمة تعني حرفيا ايضا السلطة الشخصية التي يتمتع بها فرد واحد غير مقيد باى قانون . . . »

هنا وقع كاوتسكي على فكرة **واحدة** صحيحة (ونعني بها الفكرة القائلة ان الديكتاتورية هي سلطة غير مقيدة بأي قانون) ولكنه وقع عليها دون قصد منه ، ككليب أعمى يشتم ويفتش ، كيفما اتفق ، هنا وهناك ؛ ولكنه **مع ذلك لم يعط** تعريفاً للديكتاتورية ، وجاء ، فوق ذلك ، بفكرة تناقض الحقيقة التاريخية تناقضاً جلياً ، وهي ان الديكتاتورية سلطة فرد واحد . بل ان هذه الفكرة خاطئة أيضاً من حيث اشتقاق الكلمة ، اذ قد تمارس الديكتاتورية أيضاً كتلة من الناس ، أو طغمة ، أو طبقة ، الخ . .

ثم يوضح كاوتسكي الفرق بين الديكتاتورية والاستبداد : ولكننا لن نتوقف عند ايضاحه هذا ، رغم خطئه البيِّن ، لأنه لا يمت بأية صلة للمسألة التي تهمنا . واننا لنعرف ميل كاوتسكي الى الانصراف عن القرن العشرين ومواجهة القرن الثامن عشر ، والى الانصراف عن القرن الثامن عشر ومواجهة التاريخ القديم ، واننا نأمل أن تأخذ البروليتاريا الألمانية هذا الميل بعين الاعتبار بعد

ظفرها بالديكتاتورية ، وتعين ، مثلاً ، كاوتسكي أستاذاً للتاريخ القديم في احدى المدارس الثانويـــة . ان التملص من تعريف ديكتاتورية البروليتاريا ، بالتفلسف حول الاستبداد ، يدل على أمرين : اما على غباوة قصوى واما على مكر أخرق جداً .

والنتيجة هي أن كاوتسكي سعى الى التحدث عن الديكتاتورية ، ولكنه جاء بكثير من الأخطاء البينة ، ولم يعط أي تعريف ! ولو انه عاد الى ذاكرته يستشيرها بدلاً من أن يركن الى كفاءاته الفكرية ، لاستطاع أن يستخرج من «أدراجه» جميع المواضع التي يتحدث فيها ماركس عن الديكتاتورية ، ولتوصل بلا ريب اما الى التحديد التالي واما الى تحديد آخر يوازيه من حيث الأساس :

ان الديكتاتورية سلطة تعتمد مباشرة على العنف ولا يحدُّها قانون .

ان الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا هي سلطة تظفر بها البروليتاريا وتحتفظ بها بالعنف على البرجوازية ، سلطة لا يحدُّها قانون .

وهذه الحقيقة البسيطة ، الواضحة وضوح النهار بنظر كل عامل واع (بوصفه يمثل الجماهير ، لا الفئات العليـــا من هؤلاء الأوباش الضيقي الأفق الذين اشتراهم الرأسماليون ، ونعني بهم الاشتراكيين-الامبرياليين في كل البلدان) ، هذه الحقيقة البديهية بنظر كل ممثلي المستثمَرين الذين يناضلون في سبيل تحررهم ، والثابتة ولا جدال فيها بنظر كل ماركسي ، هذه الحقيقة ينبغي لنا «انتزاعها انتزاعا» من العالم العلامة السيد كاوتسكي ! فما هو سبب هذه الظاهرة ؟ سببها روح الذل الذي تشبع به زعماء الأممية الثانية وتحولهم الى وشاة حقيرين في خدمة البرجوازية .

اولاً ، ان كاوتسكي يغش حين يؤكد هذا اللغو الواضح وهو أن كلمة ديكتاتورية تعني حرفياً ديكتاتورية فرد واحد ؛ ثم ان كاوتسكي ، — بالاستناد الى هذا الغش ! — يعلن أن تعبيـــر «ديكتاتورية طبقة» الوارد عند ماركس ليس له «بالتالي» معناه الحرفي (بل معنى لا تعني الديكتاتورية بموجبه العنف الثوري ، بل الظفر «السلمي» بالأكثرية في ظل «الديموقراطية» البرجوازية وأرجو أن تلاحظوا ذلك جيداً) .

فمن المهم ، كما ترون ، أن نميِّز بين «الحالة» و«شكـــل

الحكم» . فيا له من تمييز عميق غريب ، كأن نميز بين «حالة» غباوة انسان يحاكم دون ذكاء ولا فكر و«شكل» غباواته !

ان كاوتسكي **بحاجة** الى اظهار الديكتاتورية بأنها «حالة سيادة» (هذا هو التعبير الحرفي الذي يستعمله في الصفحة التالية ، الصفحة ٢١) ، لأنه اذ ذاك **يزول العنف الثوري** ، تزول **الثورة العنيفة** . فان «حالة السيادة» هي الحالة التي تجد فيها نفسها أية أغلبية في ظل . . . «الديموقراطية» ! وبفضل هذا الغش وهذه الشعوذة ، **تزول الثورة** بكل بساطة !

ولكن الغش بارز جداً للعيان ، ولن يجدى كاوتسكي نفعاً . اما ان الديكتاتورية تفترض وتعني هذه «الحالــة» من **العنف الثوري** – الذي يكرهه المرتدون أشد الكره – تمارسه طبقة ضد أخرى ، فتلك حقيقة «تفقأ العين» . ولذا يبدو بكل وضوح ما هو عليه التمييز بين «الحالة» و«شكل الحكم» من خراقة وسخافة . وانه لمن الغباوة المثلثة أن يتناول الحديث هنا شكل الحكم ، ذلك أن أول صبي تراه يعرف أن الملكية والجمهورية هما شكلان مختلفان للحكم . وكأننا بحاجة حقاً أن نثبت للسيد كاوتسكي أن هذين الشكلين **كليهما** للحكم ، شأنهما شأن جميع «أشكال الحكم» الانتقالية في ظل النظام الرأسمالي ، ليسا سوى مظهرين متنوعين من مظاهر **الدولة البرجوازية** أي من مظاهر **ديكتاتورية البرجوازية** .

وأخيراً ، يعني الحديث عن أشكال الحكم تزييف ماركس تزييفاً غبيا ، ناهيك عن فظاظته ، لأن ماركس يتحدث هنا بكل وضوح عن شكل أو نموذج **الدولة** ، لا عن شكل الحكم .

ان الثورة البروليتارية غير ممكنة بدون تحطيم آلة الدولة البرجوازية بالعنف والاستعاضة عنها بآلة **جديدة** «لا تبقى» ، حسب انجلس ، «دولة بمعنى الكلمة الخاص» (١٣) .

وكل ذلك يحتاج كاوتسكي الى طمسه ، وتشويهه ، اذ هكذا يقتضي منه موقفه كمرتد .

واليكم الى أية حيل حقيرة يلجأ .

الحيلة الأولى . . . «ومما يثبت أن ماركس لم يقصد هنا شكل الحكم ، هو أنه يعتبر أن الانتقال في انجلترا وأميركا يمكن أن يتم بصورة سلمية ، أي عن الطريق الديموقراطية» . . .

ان **شكل الحكم** لا علاقة له اطلاقاً بهذا الصدد ، اذ ثمة ملكيات لا تتصف بصفات **الدولة** البرجوازية ، كالملكيات التي تمتاز ، مثلاً ، بانعدام العسكرية ؛ واذ ثمة جمهوريات تتسم بكل مميزاتها ، ومنها مثلاً العسكرية والبيروقراطية . وهذا واقع تاريخي وسياسي يعرفه الجميع ، ولن يتمكن كاوتسكي من تزييفه .

ولو شاء كاوتسكي أن يحاكم بصورة جدية شريفة ، لتساءل فيما اذا كانت ثمة قوانين تاريخية تتعلق بالثورة ولا تعرف استثناء ؟ ولكان جوابه على تساؤله : كلا ، لا وجود لمثل هذه القوانين . فان هذه القوانين لا تقصد الا ما هو نموذجي ، وهو ما وصفه ماركس ، ذات يوم ، بأنه «مثالي» ، بمعنى الرأسمالية المتوسطة ، العادية ، النموذجية .

ثم ، هل كان ثمة في سنوات العقد الثامن شيء ما يجعل من انجلترا وأميركا استثناء **بهذا الصدد المعنى** ؟ انه لمن البديهي بنظر أي امرىء مطلع ، ولو بعض الشيء ، على مقتضيات العلم في ميدان القضايا التاريخية ، انه ينبغي طرح هذا السؤال . وعدم طرحه يعني تزييف العلم ، والتلاعب بالمغالطات . ولكن ، متى طرح هذا السؤال ، لم يبق أي سبيل للشك في الجواب : ان الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا انما هي **العنف** ضد البرجوازية ؛ وهذا العنف يتطلبه **بخاصة** ، كما أوضح ماركس وانجلس مراراً عدة وبأوسع ما يكون من التفاصيل (ومنها خاصة في كتاب «الحرب الأهلية في فرنسا» وفي مقدمة هذا الكتاب) وجود **العسكرية والدواوينية** . والحال ، ان هاتين المؤسستين على وجه الضبط ، **لم تكونا موجودتين** ، في انجلترا وأميركا على وجه الضبط وفي سنوات العقد الثامن من القرن التاسع عشر على وجه الضبط ، وهي المرحلة التي أبدى فيها ماركس ملاحظته ! (ولكنهما **موجودتان** الآن في انجلترا وفي أميركا على السواء) .

وهكذا فان كاوتسكي ، سعياً منه الى تغطية ارتداده ، يضطر الى الغش لدى كل خطوة يخطوها !

ثم لاحظوا كيف كشف عن وجهه دون قصد منه : فقد كتب قائلاً : بصورة «سلمية ، **أي عن الطريق الديموقراطية**» ! !

ان كاوتسكي ، في تعريفه للديكتاتورية ، قد سعى بكل

طاقته لكي يخفي عن القارىء سمة هذا المفهوم الجوهرية ، وأعنى بها **العنف الثوري** . وهكذا تجلت الحقيقة الآن : فالمقصود هو التضاد بين **الانقلاب السلمي والانقلاب العنيف** .

هنا بيت القصيد . فالحيل والمغالطات ومحاولات التزييف والغش ، كل ذلـــك يحتاج اليه كاوتسكـي لكي **يطمس** الثورة **العنيفة** ، لكي يستر ارتداده عنهـــا ، ويخفي انتقاله الى صف السياسة العمالية **الليبيرالية** ، أي الى صف البرجوازية . هنا بيت القصيد .

ان «المؤرخ» كاوتسكي يزوّر التاريخ بكثير من الصفاقة الى حد أنه «ينسى» الأمر الجوهري ، وهو أن الرأسمالية قبل الاحتكار — التي بلغت ذروتها في سنوات العقد الثامن من القرن التاسع عشر على وجه الضبط — كانت تمتاز بحب السلام وحب الحريـــة ، بقدر اكبر نسبيـــاً ، وذلك بسبب من خصائصهـــا **الاقتصادية** الأساسية التي كانت نموذجية على الأخص في انجلترا وأميركا . أما الامبريالية ، أي الرأسمالية الاحتكارية التي لم تبلغ حد النضوج الا في القرن العشرين ، فانها تمتاز ، بسبب من خصائصها **الاقتصادية** الأساسية ، بالحد الأدنى من حب السلام وحب الحرية ، وبالحد الأقصى والأعم من تطور العسكرية . فاذا «لم يلاحظ» المرء هذا الأمر ، عندما يحاول أن يعرف الى أية درجة يكون الانقلاب السلمي أو العنيف نموذجياً أم محتملاً ، هبط الى مستوى أكثر خدم البرجوازية ابتذالاً .

الحيلة الثانية . كانت كومونـــة باريس ديكتاتوريـــة البروليتاريا ، ولكنها انتخبت بالاقتراع **العام** ، أي دون حرمان البرجوازية من حقوقها الانتخابية ، أي «**بصورة ديموقراطية**» . واذا كاوتسكي يهلل : «. . . لقد كانت ديكتاتورية البروليتاريا بنظر ماركس» (أو حسب ماركس) «حالة تنجم بالضرورة من الديموقراطية الخالصة التي تشكل فيها البروليتاريا الأغلبية» (bei überwiegendem Proletariat, S. 21).

ان هذه الذريعة التي يدلي بها كاوتسكي طريفة ومضحكة الى حد أن المرء يشعر فعلاً embarras de richesses (بارتباك لكثرة . . . الاعتراضات) حقيقـــي . فمن المعروف ، أولاً ، أن زبـــدة البرجوازية وهيئة أركانها وقمتها قد فرّت من باريس الى فرساي .

وفي فرساي ، كان «الاشتراكي» لويس بلان (١٤) ، مما يثبت مرة أخرى كذب مزاعم كاوتسكي حين قال ان «جميع تيارات» الاشتراكية قد اشتركت في الكومونة . أليس من المضحك ان يقال عن انقسام سكان باريس الى معسكرين متحاربين أحدهما يضم كل البرجوازية المناضلة والنشيطة سياسياً ، انه «الديموقراطية الخالصة» مقرونة «بالاقتراع العام» ؟

ثانياً ، كانت الكومونة تناضل ضد فرساي ، بوصفها الحكومة العمالية لفرنسا ضد الحكومة البرجوازية . فما شأن «الديموقراطية الخالصة» و«الاقتراع العام» هنا ، اذا كانت باريس هي التي تقرر مصير فرنسا ؟ وعندما اعتبر ماركس أن الكومونة قد أخطأت في عدم الاستيلاء على بنك فرنسا (١٥) ، الذي كان يخص البلاد بأسرها ، أتراه استوحى مبادىء «الديموقراطية الخالصة» وتطبيقها العملي ؟ ؟

وهكذا ، في الحقيقة ، نرى أن كاوتسكي يكتب في بلاد يمنع البوليس فيها الناس من الضحك «بالجملة» ، والا لكان قتله الضحك .

وثالثاً ، أسمح لنفسي بأن أعيد بكل احترام على مسامع السيد كاوتسكي ، الذي يعرف ماركس وانجلس عن ظهر قلب ، ما يقوله انجلس بصدد الكومونة من وجهة نظر . . . «الديموقراطية الخالصة» :

«هل رأى هؤلاء السادة» (أعداء السلطة) «ثورة في يوم ما ؟ ان الثورة هي دون شك سلطة ما بعدها سلطة ؛ الثورة هي عمل يفرض به قسم من السكان ارادته على القسم الآخر بالسلاح ، بالحراب ، بالمدافع ، أي بوسائل لا يعلو سلطانها سلطان . ويتأتي على الحزب الغالب بالضرورة أن يحافظ على سيادته عن طريق الخوف الذي توحيه أسلحته للرجعيين . فلو لم تستند كومونة باريس الى سلطان الشعب المسلح ضد البرجوازية فهل كان بامكانها أن تصمد أكثر من يوم واحد ؟ وهلا يحق لنا أن نلومها ، بالعكس ، لأنها لم تلجأ لهذا السلطان الا قليلاً جداً ؟» (١٦) .

هذه هي ، اذن ، «الديموقراطية الخالصة» ! فأي تهكم كان سلطه انجلس على التافه الضيق الأفق ، «الاشتراكي

الديموقراطى» (بالمعنى الفرنسي في سنوات العقد الخامس أو بالمعنى الأوروبي العام في سنوات ١٩١٤-١٩١٨) الذي يتنطح الى التحدث بوجه عام عن «الديموقراطية الخالصة» في مجتمع منقسم الى طبقات !

ولكن ، يكفي بهذا الصدد . فان تعداد جميع السخافات والغباوات التي تفضل بها كاوتسكي أمر مستحيل ، اذ أن كلا من جمله هاوية من الارتداد والجحود لا نهاية لها .

لقد حلل ماركس وانجلس كومونة باريس تحليلاً عميقاً ، فبيّنا أن مأثرتها تتقوم في أنها حاولت أن **تحطّم وتهدم** «آلة الدولة الجاهزة» (١٧) . وقد كانت هذه النقطة على درجة كبيرة من الأهمية بنظرهما حتى انها كانت التعديل **الوحيد** الذي أدخلاه ، عام ١٨٧٢ ، على البرنامج الذي أورداه في «البيان الشيوعي» والذي كان قد «شاخ» (من بعض النواحي) (١٨) . كذلك بيّن ماركس وانجلس أن الكومونة كانت تلغي الجيش والدواوينية ، وتقضي على **البرلمانية** ، وتحطم «هذه الزائدة الطفيلية التي اسمها الدولة» ، الخ . ولكن الحكيم العلامة كاوتسكي يردد ، لابساً قبعة النوم ، ما رواه الف مرة الأساتذة الليبيراليون من حكايات وقصص حول «الديموقراطية الخالصة» .

ولقد كانت روزا لوكسمبورغ على حق حين قالت في ٤ آب (أغسطس) ١٩١٤ ان الاشتراكية-الديموقراطية الألمانية غدت **جيفة نتنة** (١٩) .

الحيلة الثالثة . «اذا قلنا عن الديكتاتورية انها شكل من أشكال الحكم ، فليس بوسعنا أن نقول بديكتاتورية طبقة من الطبقات . اذ أن الطبقة ، كما سبق وبيّنا ، لا تستطيع سوى أن تبسط سيادتها ولكنها لا تستطيع أن تحكم» . . . فان «المنظمات» أو «الأحزاب» هي التي تحكم .

انك تشوّش الأمور ، تشوّشها بشكل قبيح ، يا حضرة «المستشار في شؤون التشويش» ! فالديكتاتورية ليست «شكلاً من أشكال الحكم» . فان مثل هذا الزعم مضحك للغاية ! ان ماركس أيضاً لا يتحدث عن «شكل الحكم» ، بل عن شكل أو نموذج **الدولة** . وليس هذان بالشيء نفسه اطلاقاً ، أجل ، اطلاقاً . كذلك من الخطأ اطلاقاً القول ان **الطبقة** لا تستطيع أن تحكم : فان مثل

هذه الغباوة لا يمكن أن تصدر الا عن «برلماني أبله» لا يرى شيئاً غير البرلمان البرجوازي ولا يلاحظ شيئاً غير «الأحزاب الحاكمة» . فان أي بلد في أوروبا يقدّم لكاوتسكي أمثلة عن حكم تمارسه **طبقة** سائدة ، كطبقة الملاكين العقاريين في القرون الوسطى رغم النقص في تنظيمهم .

لنوجز . لقد شوّه كاوتسكي بطريقة لم يسمع بها من قبل مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ، اذ جعل من ماركس ليبيرالياً سطحياً ، مبتذلاً ، وهذا يعني أن كاوتسكي قد هبط بنفسه حتى مستوى الليبيرالي الذي يتشدق بكل مبتذل وسطحي حول «الديموقراطية الخالصة» فيطمس محتوى الديموقراطية **البرجوازية** الطبقي ويزينّه ، ويخشى أكثر ما يخشى **العنف الثوري** من جانب الطبقة المضطهَدة ، المظلومة . ولقد ضرب كاوتسكي الرقم القياسي العالمي في التحريف الليبيرالي لماركس وذلك حين «فسّر» مفهوم «الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا» بطريقة أزالت منه العنف الثوري الذي تمارسه الطبقة المضطهَدة المظلومة ضد المضطهِدين الظالمين . وهكذا لم يعد المرتد برنشتين يبدو الى جانب المرتد كاوتسكي الا كليباً صغيراً .

الديموقراطية البرجوازية والديموقراطية البروليتارية

ان القضية التي شوشها كاوتسكي بهذا الشكل المقيت تبدو ، في الواقع ، على النحو التالي .

من الواضح أنه ، طالما هناك **طبقات** متمايزة ، – وطالما لم نسخر من الحس السليم والتاريخ ، – لا يمكن التحدث عن «الديموقراطية الخالصة» ، بل عن الديموقراطية **الطبقية** فقط (ونقول بين هلالين ان «الديموقراطية الخالصة» ليست فقط صيغة **جاهلة** تنم عن عدم فهم لنضال الطبقات ولجوهر الدولة على حد سواء ، بل هي أيضاً صيغة جوفاء ولا أجوف ، لأن الديموقراطية ، **ستضمحل** ، اذ تتطور في المجتمع الشيوعي وتتحول الى عادة ، ولكنها لن تصبح أبداً ديموقراطية «خالصة» .)

ان «الديموقراطية الخالصة» ليست سوى تعبير كاذب

لليبيرالي يخدع العمال . ان التاريخ يعرف الديموقراطية البرجوازية التي تحل محل النظام الاقطاعي ، والديموقراطية البروليتارية التي تحل محل الديموقراطية البرجوازية .

وحين يخصص كاوتسكي عشرات الصفحات أو يكاد «لاثبات» هذه الحقيقة وهي أن الديموقراطية البرجوازية خطوة الى الأمام بالنسبة للقرون الوسطى وأنه لا بد للبروليتاريا من استخدامها في نضالها ضد البرجوازية ، فليست محاولته هذه الا ثرثرة ليبيرالية تخدع العمال . وهي من باب تحصيل الحاصل ، لا في ألمانيا المتعلمة وحسب ، بل أيضاً في روسيا غير المتعلمة . ان كاوتسكي لا يفعل غير أن يذر رماد «العلم» في عيون العمال ، ويتجلبب بجلباب الوقار والرصانة حين يتحدث عن فيتلينغ (٢٠) ، وجزويت الباراغواي ، وعن كثرة من الأشياء الأخرى ، وذلك **لكي يتجنب** الجوهر **البرجوازي** للديموقراطية المعاصرة ، أي الديموقراطية **الرأسمالية** .

ان كاوتسكي يأخذ من الماركسية ما هو مقبول عند الليبيراليين ، عند البرجوازية (انتقاد القرون الوسطى ، الدور التاريخي التقدمي للرأسمالية بوجه عام والديموقراطية الرأسمالية بوجه خاص) ؛ وينبذ من الماركسية ما هو **غير مقبول** عند البرجوازية ، ويلزم الصمت حوله ، ويطمسه (عنف البروليتاريا الثوري ضد البرجوازية ، من أجل القضاء على البرجوازية) . ولهذا السبب ، يتكشف كاوتسكي حتماً عن خادم ذليل للبرجوازية ، بحكم موقفه الموضوعي ، وأيا كانت عقائده الذاتية .

ان الديموقراطية البرجوازية ، وان كانت تشكل خطوة تاريخية كبيرة الى الأمام بالنسبة للقرون الوسطى ، تظل ابدا مع ذلك ، — ولا يمكنها أن لا تظل كذلك في النظام الرأسمالي- ديموقراطية ضيقة ، مبتورة ، مزورة ، منافقة ، فردوسا للاغنياء ، وفخا وخديعة للمستثمَرين ، للفقراء . وهذه الحقيقة ، التي تشكل القسم الأساسي الجوهري في المذهب الماركسي ، هي التي لم يفهمها «الماركسي» كاوتسكي . ففي هذه القضية — الجذرية — يتفضل كاوتسكي «بألطافه» على البرجوازية ، بدلاً من أن يأتي بانتقاد علمي للظروف والشروط التي تجعل من كل ديموقراطية برجوازية ديموقراطية للاغنياء .

بادىء الأمر ، نذكّر العالم العلامة السيد كاوتسكي ببيانات ماركس وانجلس النظرية التي «نسيها» هذا الحافظ بشكل مخز (ارضاء للبرجوازية) ؛ ثم نفسّر المسألة على أوضح وجه .

ان «الدولة التمثيلية العصرية» ، وليس فقط الدولة القديمة والدولة الاقطاعية ، هي أيضاً «أداة لاستثمار العمل المأجور من قبل الرأسمال» (انجلس في مؤلفه عن الدولة) (٢١) . «ولما كانت الدولة عبارة عن مؤسسة ذات طابع عابروحسب يتأتى استخدامها في النضال ، في الثورة ، لقمع الخصوم بالقوة ، فان الحديث عن الدولة الشعبية الحرة هو مجرد لغو : فما دامت البروليتاريا **بحاجة** الى الدولة ، فهي لا تحتاجها من أجل الحرية ، بل من أجل قمع خصومها ، وعندما يصبح بالامكان الحديث عن الحرية ، عندئذ تزول الدولة بوصفها الدولة» (انجلس . رسالة الى بيبل ، ٢٨ آذار — مارس — ١٨٧٥) . «ان الدولة ليست الا جهازاً لقمع طبقة من قبل طبقة أخرى ، وهذا ما يصدق على الجمهورية الديموقراطية بدرجة لا تقل اطلاقاً عن صدقه على الملكية» (انجلس . مقدمة كتاب «الحرب الأهلية» لماركس) . ان حق الانتخاب العام «دليل على نضج الطبقة العاملة . **ولا يمكنه قط أن يكون ولن يكون أكثر من ذلك في الدولة الراهنة**» . (انجلس في مؤلفه عن الدولة (٢٢) . ان السيد كاوتسكي يجتر بصورة مملة جداً القسم الأول من هذه الموضوعة ، المقبول عند البرجوازية . أما القسم الثاني الذي أشرنا اليه باشارة التأكيد والذي هو غير مقبول عند البرجوازية ، فان المرتد كاوتسكي يلزم الصمت حوله !) . «كان يراد بالكومونة الا تكون هيئة برلمانية ، بل هيئة عاملة تتمتع بالسلطتين التشريعية والتنفيذية في الوقت عينه . . وبدلاً من البت مرة كل ثلاث سنوات أو ست في معرفة أي عضو من الطبقة الحاكمة يجب أن يمثل ويقمع (ver-und zertreten) الشعب في البرلمان ، كان يجب على حق الانتخاب العام ، بدلاً من ذلك ، أن يخدم الشعب ، المنظم في الكومونات قصد البحث لمؤسسته عن عمال ومراقبين ومحاسبين ، كما يخدم حق الانتخاب الفردي لهذا الغرض أيا كان من أرباب العمل» . (ماركس في مؤلفه عن كومونة باريس «الحرب الاهلية في فرنسا») .

ان كلا من هذه الموضوعات التي يعرفها العالم العلامة السيد كاوتسكي جيد المعرفة ، انما تصفع وجهه صفعا ، وتكشف عن كامل ارتداده . ففي كل كراسه ، لا تنم أيـة بادرة لفهم هذه الحقائق . وما مضمون هذا الكراس ، من أول سطر منه حتى آخر سطر ، سوى سخر من الماركسية !

خذوا القوانين الأساسية في الدول المعاصرة ، خذوا ادارتها ، خذوا حرية الاجتماع أو حرية الصحافة ، خذوا «مساواة المواطنين أمام القانون» ، تروا لدى كل خطوة نفاق الديموقراطية البرجوازية الذي يعرفه جيداً كل عامل شريف ومدرك . فليس ثمة دولة ، حتى أوفر الدول ديموقراطية ، لا يتضمن دستورهـا منافذ أو تحفظات تمكن البرجوازية من توجيه الجيوش ضد العمال ، واعلان الأحكام العرفية ، الخ . «في حال مخالفـة النظـام» ، أي ، في الواقع ، حين «تخالف» الطبقة المستثمَرة وضعها الاستعبادي وتحاول أن لا تسلك سلوك العبد . ان كاوتسكي يزين وجـه الديموقراطية البرجوازية بكل وقاحة وصفاقة ؛ فهو ، مثلاً ، لا ينبس ببنت شفة عما يفعله ، ضد العمال المضربين ، أشـد البرجوازيين نزعة ديموقراطية وجمهورية في أميركا أو فـي سويسرا .

آه ! ان كاوتسكي الحكيم والعلامة لا يقول شيئاً عن هذا ! انه لا يفهم ، هذا السياسي العالم ، ان الصمت هنا نذالة ؛ فهو يفضل أن يروى على مسامع العمال قصصا للأطفال ، كأن يقول مثلاً ان الديموقراطية تعني «حماية الأقليـة» . هذا القول لا يصدق ، لكنه هكذا ورد ! ففي العام ١٩١٨ بعد ميلاد المسيح ، في العام الخامس من المجزرة الامبريالية العالمية ، وبينا يخنقون في جميع «ديموقراطيات» العالم الأقليات الأممية (أي التي لم تخن الاشتراكية بسفالة وحقارة ، كما فعل رينوديل ولونغه واضرابهما ، وشيدمان ، وكاوتسكي وأمثالهما ، وهندرسون وويب ومن لف لفهما ، الخ .) ، يطري السيد العلامة كاوتسكي بصوت معسول ، معسول جداً ، «حماية الأقلية» . وكل من له رغبة يمكنه أن يقرأ هذا في الصفحة ١٥ من كراس كاوتسكي . وفي الصفحة ١٦ ، يحدثك هذه الشخصية . . . العلامة عن الويغ والتوري (٢٣) في القرن الثامن عشر في انجلترا !

فيا للعلم ! ويا له من استخذاء ناعم أمام البرجوازية ! وأية طريقة متمدنة في الزحف على البطن أمام الرأسماليين ولعق جزماتهم ! ولو كنت كروب ، أو شيدمان ، أو كليمانسو ، أو رينوديل (٢٤) ، لدفعت الملايين للسيد كاوتسكي ، ولنزلت عليه ضماً وتقبيلاً كيهوذا ، ومدحته أمام العمال ، ودعوت الى «وحدة الاشتراكية» مع أناس «محترمين» أمثال كاوتسكي . وكتابة الكراريس ضد ديكتاتورية البروليتاريا ، ورواية تاريخ الويغ والتوري في القرن الثامن عشر في انجلترا ، والتأكيد أن الديموقراطية تعني «حماية الأقلية» ، والسكوت عن **مذابح** الأمميين في جمهورية أميركا «الديموقراطية» ، أليست تلك خدمات يقدمها خادم ذليل للبرجوازية ؟

ان السيد العلامة كاوتسكي قد «نسي» — ويبدو أنه نسي صدفة — «تفاهة» عنيت بها ان الحزب السائد في الديموقراطية البرجوازية لا يخول حماية الأقلية الا لحزب **برجوازي** آخر ، بينا تنال البروليتاريا ، في كل قضية **جدية** ، **عميقة** ، **جذرية** ، الأحكام العرفية أو المجازر بدل «حماية الأقلية» ؛ **فبقدر ما تكون الديموقراطية أكثر تطوراً بقدر ما تكون المجزرة أو الحرب الأهلية أقرب في حال أي خلاف سياسي عميق وخطر على البرجوازية** . ان «قانون» الديموقراطية البرجوازية هذا ، انما كان في وسع السيد العالم كاوتسكي أن يراه ويلمسه في قضية دريفوس (٢٥) في فرنسا الجمهورية ، في «لنتش» * الزنوج والأمميين في جمهورية اميركا الديموقراطية ، في مثال ارلنده واولستر في انجلترا الديموقراطية (٢٦) ، في الملاحقات الوحشية والمجازر المنظمة ضد البلاشفة في نيسان (ابريل) ١٩١٧ في الجمهورية الديموقراطية الروسية . وهذه الأمثلة ، انما أستقيها قصداً وعمداً ، لا من زمن الحرب وحسب ، بل أيضاً من زمن ما قبل الحرب ، من زمن السلم . أما السيد المعسول كاوتسكي فيطيب له أن يغمض عينيه على هذه الوقائع من القرن العشرين ، وأن يتحف العمال ، على العكس ، بأشياء جديدة في غاية الجدة ، طريفة في غاية الطرافة ، مفيدة في منتهي الفائدة ،

---

* اعدام من غير محاكمة قانونية . **الناشر** .

هامة الى حد لا يصدق ، بأشياء عن الويغ والتوري في القرن الثامن عشر .

خذوا البرلمان البرجوازي ، فهل يمكن الافتراض أن العالم كاوتسكي لم يسمع قط بأنه **بقدر** ما تبلغ الديموقراطية **درجة اعلى** من التطور ، **بقدر** ما تخضع البورصة لنفسها ويخضع أصحاب البنوك لأنفسهم البرلمانات البرجوازية ؟ ولكنه لا ينجم أبداً مما سبق أنه لا يجب استخدام البرلمانية البرجوازية (وقد استخدمها البلاشفة بنجاح ربما يكون أكبر من نجاح أي حزب آخر في العالم اذ أننا ظفرنا بكل مقاعد العمال في الدوما الرابع (٢٧) من عام ١٩١٢ الى عام ١٩١٤) . ان ما ينجم هو أن ليس غير الليبيرالي من يستطيع أن ينسى ، كما نسي كاوتسكي ، **طابع** البرلمانية البرجوازية **المحدود والنسبي ، من الناحية التاريخية** . ففي الدولة البرجوازية الأوفى ديموقراطية ، تصطدم الجماهير المظلومة على الدوام بالتناقض الصارخ بين المساواة الشكلية التي تعلنها «ديموقراطية» الرأسماليين ، وآلاف القيود والأحابيل **الفعلية** التي تجعل من البروليتاريين **عبيداً مأجورين** . ان هذا التناقض بالذات هو الذي يفتح عيون الجماهير على تعفن الرأسمالية ، وبهتانها ، ونفاقها . وهذا التناقض بالذات هو الذي يكشف القناع عنه بلا انقطاع دعاة الاشتراكية ومحرضوها أمام الجماهير ، **بغية اعدادها** للثورة ! وحين **بدأ** عهد الثورات ، أدار له كاوتسكي ظهره وراح يتغنى بمحاسن الديموقراطية البرجوازية **المحتضرة** .

ان الديموقراطية البروليتارية ، التي سلطة السوفييت شكل من أشكالها ، قد طورت الديموقراطية ووسعتها الى حد لم ير العالم مثيلاً له ، في صالح غالبية السكان الساحقة على وجه الدقة ، في صالح المستثمَرين والشغيلة . وفي هذه الحال ، اذا كتبت كراساً كاملاً عن الديموقراطية ، كما فعل كاوتسكي الذي خصص صفحتين فقط للديكتاتورية وعشرات الصفحات «للديموقراطية الخالصة» ، **ولم تلحظ** ذلك ، فأنت تحرّف الوقائع بطريقة ليبيرالية تحريفاً كلياً .

خذوا السياسة الخارجية . ليس هناك أي بلد برجوازي تمارَس فيه بشكل سافر ، حتى وان كان أوفى البلدان

البرجوازية ديموقراطية . ففي كل مكان ، خداع الجماهير ؛ وفي البلدان الديموقراطية ، فرنسا ، سويسرا ، أميركا ، انجلترا ، يتخذ هذا الخداع شكلاً أكبر وأنعم مائة مرة مما في البلدان الأخرى . أما السلطة السوفييتية ، فقد نزعت القناع بصورة ثورية عن أسرار السياسة الخارجية . وهذا الواقع لم يلحظه كاوتسكي ، ولا ينبس عنه بكلمة ، مع ان له أهمية **جوهرية** في عصر الحروب اللصوصية والمعاهدات السرية حول «تقاسم مناطق النفوذ» (أي حول تقاسم العالم من قبل الأشقياء الرأسماليين) ؛ فعليه تتوقف قضية السلام ، قضية حياة أو موت عشرات الملايين من الناس .

خذوا تنظيم الدولة . ان كاوتسكي يتمسك «بالتفاصيل» حتى انه يلاحظ أن الانتخابات «غير مباشرة» (في الدستور السوفييتي) ولكنه لا يرى جوهر القضية . فهو لا يرى الجوهر **الطبقي** لجهاز الدولة ، لآلة الدولة . ففي الديموقراطية البرجوازية ، **يقصي** الرأسماليون الجماهير بألف حيلة وحيلة – تزداد مهارة وفعالية بقدر ما تكون الديموقراطية «الخالصة» أكثر تطوراً – عن الاشتراك في الحكم ، عن حرية الاجتماع والصحافة ، الخ . . أما سلطة السوفييت ، فهي **أول** سلطة في العالم (الثانية على سبيل الضبط ، اذ أن كومونة باريس كانت بدأت الشيء نفسه) **تشرك** الجماهير في الحكم ، الجماهير **المستثمَرة** ، على وجه الضبط . هناك ألف حاجز وعقبة **تعترض** الجماهير الكادحة دون الاشتراك في البرلمان البرجوازي (الذي لا **يحل أبدا** أهم المسائل في الديموقراطية البرجوازية ، اذ تحلها البورصة والبنوك) . والعمال يعرفون جيد المعرفة ، ويشعرون ، ويدركون ، ويرون ، ويلمسون لمس اليد أن البرلمان البرجوازي هو هيئة **غريبة عنهم ، وأداة لاضطهاد** البروليتاريين من جانب البرجوازية ، هيئة طبقة معادية ، هيئة أقلية من المستثمِرين .

أما السوفييتات ، فهي المنظمة المباشرة للجماهير الكادحة والمستثمَرة بالذات ، وهي **تسهّل** لها امكان تنظيم الدولة بنفسها وادارتها بكل الوسائل الممكنة . وفي هذا المضمار ، تتمتع طليعة الكادحين والمستثمَرين ، بروليتاريا المدن ، بمزية مفادها انها متحدة على خير وجه بفضل المشروعات الضخمة ، كما انه من الأسهل لها انتخاب النواب ومراقبتهم . ان التنظيم السوفييتي

يسهل بصورة أوتوماتيكية اتحاد جميع الكادحين والمستثمَرين حول طليعتهم ، البروليتاريا . ان الجهاز البرجوازي القديم ، — البيروقراطية ، والامتيازات الناجمة عن الثروة والتعليم البرجوازي والعلاقات ، الخ . . (ان هذه الامتيازات الفعلية تزداد تنوعاً بقدر ما تكون الديموقراطية البرجوازية أكثر تطوراً) ان كل هذا يزول مع قيام التنظيم السوفييتي . ولا تبقى حرية الصحافة مجرد رياء ، اذ تؤخذ المطابع والورق من البرجوازية . وكذلك تؤخذ خيرة الأبنية ، والقصور ، والفيللات ، وبيوت الاقطاعيين . ان السلطة السوفييتية قد انتزعت دفعة واحدة ، خيرة هذه العمارات ، بالآلاف والالآف ، من المستثمِرين ؛ وهكذا جعلت حق الاجتماع للجماهير — هذا الحق الذي لا تعني الديموقراطية بدونه غير الخداع والتضليل — أكثر «ديموقراطية» **بمليون مرة** . والانتخابات غير المباشرة الى السوفييتات غير المحلية تسهل عقد مؤتمرات السوفييتات ، وتجعل **كل** الجهاز أقل كلفةً ، وأكثر حركةً ، وأقرب منالاً الى العمال والفلاحين ، في مرحلة من الحياة الناشطة المتدفقة ينبغي أن تتوافر فيها لهم امكانية سحب نائبهم المحلي أو ارساله الى مؤتمر السوفييتات العام بأسرع وقت .

ان الديموقراطية البروليتارية لأكثر ديموقراطية **بمليون مرة** من أية ديموقراطية برجوازية ؛ ان سلطة السوفييت لأكثر ديموقراطية بمليون مرة من أوفر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية .

ان الذي لا يلحظ هذا ، اما هو خادم للبرجوازية عن وعي ، واما هو انسان ميت سياسياً تماماً ، لا يرى الحياة الحية من وراء الكتب البرجوازية المغبرة ، مشبع كلياً بالأوهام الديموقراطية البرجوازية ، وبالتالي جعل نفسه ، موضوعياً ، خادماً ذليلاً للبرجوازية .

وان الذي لا يستطيع أن يلحظ هذا هو انسان عاجز عن **طرح المسألة** من وجهة نظر الطبقات **المظلومة** :

فهل يوجد في العالم ولو بلد واحد من **أكثر** البلدان البرجوازية ديموقراطية يتمتع فيه العامل **المتوسط العادي والأجير الزراعي** المتوسط العادي أو بوجه عام شبه البروليتاري في الأرياف (أي ممثل الجمهور المظلوم ، ممثل أغلبية السكان

الساحقة) ، يتمتع وان بصورة تقريبية ، بنفس **الحرية** في تنظيم الاجتماعات في خيرة العمارات ، بنفس **الحرية** في تملك أكبر المطابع وأوفر مخزونات الورق للاعراب عن أفكارهما والدفاع عن مصالحهما ، بنفس **الحرية** في تقديم أفراد من طبقتهما بالذات الى ادارة الدولة و"«تدبير»ها ، كما في روسيا السوفييتية ؟

من المضحك حقاً أن يعتقد المرء أن في مستطاع السيد كاوتسكي أن يجد في بلد ما ، ولو عاملاً" واحداً أو أجيراً زراعياً واحداً من ألف ، يتردد في الاجابة عن هذا السؤال اذا ما عرف الحقيقة . ان عمال العالم بأسره يعطفون على الجمهورية السوفييتية بالغريزة ، لمجرد سماعهم نتفا من الحقيقة تعترف بها الصحف البرجوازية ، وذلك بالضبط لأنهم يرون فيها الديموقراطية **البروليتارية ، الديموقراطية للفقراء** ، لا الديموقراطية للاغنياء ، التي هي بالفعل كل ديموقراطية برجوازية ، حتى أفضلها .

ونحن يحكمنا (ودولتنا «يدبر»ها) موظفون برجوازيون وبرلمانيون برجوازيون وقضاة برجوازيون . وهذه هي الحقيقة البسيطة ، البديهية ، التي لا مراء فيها ، والتي يعرفها من تجربة الحياة ويلمسها ويحس بها كل يوم العشرات والمئات من ملايين أبناء الطبقات المظلومة في جميع البلدان البرجوازية ، بما فيها أوفرها ديموقراطية" .

ولكن الجهاز البيروقراطي في روسيا سحق سحقاً ، ولم يترك منه حجر على حجر ، وطرد جميع القضاة السابقين ، وأطيح بالبرلمان البرجوازي ؛ وأعطي تمثيل **أقرب بكثير الى متناول** العمال والفلاحين على وجه الضبط ؛ وحلت سوفييتاتهم محل الموظفين ، أو أن سوفييتاتهم وضعت فوق الموظفين ؛ وسوفييتاتهم هي التي تنتخب القضاة ؛ وهذا الأمر وحده يكفي لكي ترى جميع الطبقات المظلومة أن السلطة السوفييتية ، أي هذا الشكل من ديكتاتورية البروليتاريا ، هي أكثر ديموقراطية" بمليون مرة من أكثر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية .

وهذه الحقيقة المفهومة والبديهية بالنسبة لكل عامل ، لا يدركها كاوتسكي ، لأنه «نسي» كيف يطرح هذا السؤال ، لأننا «غاب عن باله ما تعلمه» بهذا الصدد : الديموقراطية **لأية طبقة** ؟ انه يفكر ويحلل من وجهة نظر الديموقراطية «الخالصة» (أي بدون

طبقات ؟ أو خارج الطبقات ؟) . ويبرهن على طريقة شيلوك (٢٨) : «رطل من اللحم» لا أكثر . المساواة بين جميع المواطنين ، والا فلا ديموقراطية .

وهكذا لا بد لنا أن نطرح على العالم كاوتسكي ، على «الماركسي» و«الاشتراكي» كاوتسكي السؤال التالي :

هل يمكن أن تقوم المساواة بين المستثمَر والمستثمِر ؟

وان نضطر الى طرح هذا السؤال لمناسبة بحث كتاب لزعيم الأممية الثانية الفكري ، لأمر فظيع ، لا يصدق . ولكن ، «ما دام قد سكب ، فلا بد من شربه» . وما دمنا قد شرعنا نكتب عن كاوتسكي ، فلا بد لنا أن نوضح لهذا العالم لماذا لا يمكن أن تقوم المساواة بين المستثمِر .

هل يمكن ان تقوم المساواة بين المستثمَر والمستثمِر ؟

يحاكم كاوتسكي على النحو التالي :

(١) «ان المستثمرين لم يشكلوا قط الا اقلية ضئيلة من السكان» (ص ١٤ من كراس كوتسكي) .

هذه حقيقة لا جدال فيها . ولكن ، كيف المحاكمة انطلاقاً من هذه الحقيقة ؟ من الممكن أن يحاكم المرء بطريقة ماركسية ، بطريقة اشتراكية : واذ ذاك ، يتعين عليه أن يتخذ موقف المستثمَرين حيال المستثمِرين أساساً لمحاكمته . ومن الممكن أن يحاكم بطريقة ليبيرالية ، بطريقة ديموقراطية برجوازية ؛ واذ ذاك يتعين عليه أن يتخذ موقف الأغلبية من الأقلية أساساً لمحاكمته .

فاذا حاكم بالطريقة الماركسية ، ترتب عليه أن يقول : ان المستثمِرين يحولون الدولة بالضرورة (والحال يدور الكلام هنا عن الديموقراطية أي عن شكل من أشكال الدولة) الى أداة لسيطرة طبقتهم ، طبقة المستثمِرين ، على المستثمَرين . ولهذا فان الدولة الديموقراطية أيضاً ستكون حتماً ديموقراطية للمستثمِرين

ما دام هناك مستثمِرون يبسطون سيطرتهم على أغلبيـــة المستثمَرين . أما دولة المستثمَرين ، فينبغي أن تتميز بصورة جذرية عن مثل هذه الدولة ؛ ينبغي أن تكون ديموقراطيـــة للمستثمَرين **وتقمع المستثمِرين** ؛ والحال ، ان قمع طبقة مـا يعني عدم مساواة هذه الطبقة ، اقصاءها عن «الديموقراطية» .

واذا حاكم بالطريقة الليبيرالية ، ترتب عليه أن يقول : الأغلبية تقرر ، والأقلية تخضع . والمتمردون يعاقبون . هذا كل شيء . ولا فائدة من الشرح والبحث حول طابع الدولة الطبقي هذا أو ذاك بوجه عام وحول «الديموقراطية الخالصة» بوجه خاص ؛ فلا علاقة له بالموضوع اذ أن الأغلبية هي الأغلبية والأقلية هـي الأقلية . ان رطلاً من اللحم هو رطل من اللحم لا اكثر !

وبهذه الطريقة بالذات يحاكم كاوتسكي :

(٢) «لأية أسباب يجب أن ترتدي سيادة البروليتاريا وترتدي بالضرورة شكلاً لا يتلاءم مع الديموقراطية ؟» (ص ٢١) . ثم يعطي تفسيراً فضفاضاً جداً ومسهباً جداً مفاده أن الأغلبية الى جانـب البروليتاريا ويدعمه باستشهاد من ماركس وبأرقام حول توزيع الأصوات في كومونة باريس . النتيجة : «ان نظاما يتمتع بمثل هذه الجذور الراسخة بين الجماهير ليس له على الاطلاق ما يدفعه الى انتهاك الديموقراطية . ولن يستطيع دائماً الاستغناء عن العنف في الحالات التي يستعمل فيها العنف لقمع الديموقراطية . فلا يمكن الرد على العنف الا بالعنف . ولكن نظاماً يعرف أن الجماهير تقف الى جانبه ، لن يلجأ الى العنف الا من أجل **حماية** الديموقراطية ، لا من أجل **ابادتها** . والا ، فانه يقدم حقاً على الانتحار اذا شاء الغاء أضمن قاعدة له ، حق الانتخاب العام ، الذي هو ينبوع عميـــق لسلطة معنوية جبارة» (ص ٢٢) .

وهكذا ترون أن موقف المستثمَرين من المستثمِريـن قـد اختفى في حجج كاوتسكي . ولا يبقى غير الأغلبية بوجه عام ، الأقلية بوجه عام ، الديموقراطية بوجه عام ، «الديموقراطيـة الخالصة» ، التي نعرف .

ولاحظوا أن هذا القول قيل **بصدد كومونة باريس** ! ولمزيد من الايضاح ، نورد اذن قول ماركس وانجلس حول الديكتاتورية **بصدد الكومونة** :

ماركس : «. . . اذا ما أقام العمال في مكان ديكتاتورية البرجوازية ديكتاتوريتهم الثورية . . . لكيما يحطموا مقاومة البرجوازية . . . فانهم يعطون الدولة شكلاً ثورياً وعابراً . . .» (٢٩) .

انجلس «. . . ويتأتى على الحزب الغالب» (في الثورة) «بالضرورة أن يحافظ على سيادته عن طريق الخوف الذي توحيه أسلحته للرجعيين . فلو لم تستند كومونة باريس الى سلطان الشعب المسلح ضد البرجوازية فهل كان بامكانها أن تصمد أكثر من يوم واحد ؟ وهلا يحق لنا أن نلومها ، بالعكس ، لأنها لم تلجأ لهذا السلطان الا قليلاً جداً ؟ . .» (٣٠) .

انجلس : «. . . ولما كانت الدولة عبارة عن مؤسسة ذات طابع عابر وحسب يتأتى استخدامها في النضال ، في الثورة ، لقمع الخصوم بالقوة ، فان الحديث عن الدولة الشعبية الحرة هو مجرد لغو : فما دامت البروليتاريا بحاجة الى الدولة ، فهي لا تحتاجها من أجل الحرية ، بل من أجل قمع خصومها ، وعندما يصبح بالامكان الحديث عن الحرية ، عندئذ تزول الدولة بوصفها الدولة . . .» (٣١) .

ان كاوتسكي لبعيد عن ماركس وانجلس بعد الثرى عن الثريا ، بعد الليبيرالي عن الثوري البروليتاري . ان الديموقراطية الخالصة أو مجرد «الديموقراطية» التي يتحدث عنها كاوتسكي ليست سوى تعبير آخر عن نفس هذه «الدولة الشعبية الحرة» ، أي **مجرد خرق** . ويسأل كاوتسكي بادعاء علامة أبله قابع في برجه العاجى ، أو بسذاجة طفلة في العاشرة من عمرها : لِمَ الديكتاتورية ، ما دامت هناك أغلبية ؟ والحال ، يوضح لنا ماركس وانجلس لماذا :

— — لسحق مقاومة البرجوازية ؛
— — لبعث الخوف في نفوس الرجعيين ؛
— — لدعم سلطة الشعب المسلح ضد البرجوازية ؛
— — لكي تتمكن البروليتاريا من قمع أعدائها بالعنف .

ولكن كاوتسكي لا يفهم شيئاً من هذه الايضاحات . ولشغفه بـ«خلاصة» الديموقراطية التي لا يرى طابعها البرجوازي ، يؤكد «بانسجام» أن الأغلبية ليست بحاجة ، ما دامت أغلبية ، الى

سحق مقاومة» الأقلية ، الى «قمعها بالعنف» ؛ حسبها أن تقمع محاولات انتهاك الديموقراطية . ولشغفه بـ«خلاصة» الديموقراطية يرتكب كاوتسكي ، **عن سهو** ، الخطأ الطفيف الذي يرتكبه دائماً جميع الديموقراطيين البرجوازيين ، أي انه يأخذ المساواة الشكلية (وهي كاذبة ومنافقة كلياً في النظام الرأسمالي) على أنها المساواة الفعلية ! فيا للتفاهة !

ان المستثمِر لا يمكن أن يكون مساوياً للمستثمَر .

هذه الحقيقة ، مهما كانت مزعجة لكاوتسكي ، انما هي جوهر مضمون الاشتراكية بالذات .

وحقيقة أخرى : لا يمكن أن تقوم أية مساواة حقيقية ، أية مساواة فعلية ، طالما لم يقض اطلاقاً على كل امكانية لاستثمار طبقة من قبل أخرى .

من الممكن هزم المستثمِرين دفعةً واحدةً ، بانتفاضة ناجحة في المركز أو بتمرد تقوم به قوات الجيش . ولكنه لا يمكن ابادتهم دفعةً واحدةً ، الا في بعض الحالات النادرة جداً ، الاستثنائية . لا يمكن دفعةً واحدةً مصادرة أملاك جميع الملاكين العقاريين وجميع الرأسماليين في بلد كبير نوعاً ما . ثم ان مصادرة الملكية ، بوصفها عملاً حقوقياً أو سياسياً ، لأبعد هي وحدها من أن تحل المشكلة ، لأنه يقتضي فعلاً **خلع** الملاكين العقاريين والرأسماليين ، **والاستعاضة** عنهم فعلاً بادارة أخرى للمصانع والأملاك العقارية هي الادارة العمالية . ولا يمكن أن تقوم المساواة بين المستثمِرين الذين امتازوا ، طوال أجيال ، بتعليمهم ، وشروط حياة الغنى والعادات المكتسبة ، وبين المستثمَرين الذين لا يزالون في غالبيتهم ، حتى في أرقى الجمهوريات البرجوازية وأوفرها ديموقراطيةً ، مظلومين ، متأخرين ، جاهلين ، خائفين ، متفرقين . وبعد الانقلاب بزمن طويل ، يحتفظ المستثمِرون لا محالة بجملة من المزايا الفعلية الهائلة : يبقى لهم المال (فمن المستحيل الغاؤه دفعةً واحدةً) ، وبعض الأموال المنقولة ، وغالباً ما تكون كبيرة القيمة ؛ تبقى لهم علاقات وعادات مكتسبة في التنظيم والادارة ، ومعرفة جميع «أسرار» (عادات ، أساليب ، وسائل ، امكانيات) الادارة ؛ يبقى لهم تحصيل أعلى ، وقرابة من الملاك (الكادر) التكنيكي العالي (البرجوازي من حيث نمط حياته

وتفكيره) ؛ تبقى لهم تجربة في الفن العسكري أكبر بما لا حد له (وهو أمر على جانب كبير جداً من الأهمية) ، الخ . الخ . .

وإذا لم يهزم المستثمِرون الا في بلد واحد – وتلك هي ، بالطبع ، الحالة النموذجية ، اذ أن الثورة في عدة بلدان في آن واحد أمر نادر ، استثنائي – فانهم يظلون **مع ذلك أقوى** من المستثمرين ، لأن علاقات المستثمِرين العالمية هائلة . ثم ان قسمـــاً من أقـــل الجماهير المستثمَرة تطوراً ، بين الفلاحين المتوسطين ، والحرفيين ، الخ . يقف وبوسعه أن يقف الى جانب المستثمِرين ، وهذا ما أثبتته حتى الآن **جميع** الثورات ، بما فيها الكومونة (فقد كان هناك بروليتاريون في صفوف قوات فرساي ، وهذا ما «نسيه» العالم العلامة كاوتسكي) .

ونظراً لهذا الوضع ، اذا افترض المرء أن مجرد النسبة بين الأغلبية والأقلية هي التي تحل القضية في ثورة عميقة وجديـــة نوعاً ما ، فانه يقدم الدليل على منتهى الغباوة ؛ انه يتمسك بوهم ساذج ما بعده سذاجة ، جدير بليبيرالي مبتذل ؛ انه **يخدع الجماهير** ، ويخفي عنها حقيقة تاريخية بديهية ، هي تلك الحقيقة التاريخية التي تقول ان **من القاعدة** أن يقاوم المستثمِرون الذين يحتفظون خلال عدة سنوات بمزايا كبيرة فعليـــة بالنسبـــة للمستثمَرين مقاومة **طويلة ، عنيدة ، يائسة** في كل ثورة عنيفة ، ولن يخضع المستثمِرون أبداً – الا في رأس كاوتسكي المعسول الغبي وخياله المعسول – لارادة أغلبية المستثمَرين ، دون أن يلقوا في كفة الميزان بتفوقهم في معركة أخيرة ، يائسة في جملـــة من المعارك .

ان الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، هو مرحلة تاريخية كاملة . وطالما لم تنته ، يظل المستثمِرون يحتفظون حتماً بأمل العودة ، **بأمل** يتحول الى **محاولات** للعـــودة . فان المستثمِرين المقلوبين ، الذين لم يكونوا يتوقعون اطلاقاً اسقاطهم ، ولم يكونوا يصدقونه ، ولم تخطر في بالهم فكرته ، يندفعون الى المعركة ، اثر أول هزيمة جدية ويخوضون غمارها بعزيمة مضاعفة عشر مرات ، وسورة جنونية ، وحقد اشتد مئات المرات ، من أجـــل استعادة «الفردوس» المفقود ، من أجل عائلاتهم التي كانت تحيا حياة هانئة وحكم عليها «الرعاع الأنذال» الآن بالخراب والبؤس

(أو بالكدح «الفظ» . . .) . ووراء الرأسماليين المستثمِرين ، ينجرُّ القسم الأعظم من البرجوازية الصغيرة التي أثبتت عشرات السنين من التجارب التاريخية في جميع البلدان انها تتردد وتتأرجح ، وتسير اليوم وراء البروليتاريا ، وغداً تخاف مصاعب الانقلاب فيتملكها الذعر لدى أول هزيمة أو نصف هزيمة يمنى بها العمال ، وتضطرب ، ويطيش صوابها ، وتتباكى ، وتركض من معسكر الى آخر . . . كما يفعل المناشفة والاشتراكيون-الثوريون عندنا .

وفي هذه الأحوال ، في مرحلة يضطرم فيها سعير حرب يائسة ، قاسية ، ويضع فيها التاريخ في جدول الأعمال قضية وجود أو عدم وجود الامتيازات التي دامت مئات السنين وآلافها ، — يتحدث أحدهم عن الأغلبية والأقلية ، والديموقراطية الخالصة ، وعدم جدوى الديكتاتورية ، والمساواة بين المستثمِر والمستثمَر ! ! فالى أية هاوية من الحماقة ، الى أية هاوية من التفاهة وضيق الأفق ينزلق هذا الانسان حتى ينطق بهذه الدرر !

ولكن عقوداً من الرأسمالية «المسالمة» نسبياً ، من عام ١٨٧١ الى ١٩١٤ ، كدست في الأحزاب الاشتراكية التي تسعى الى التكيف على الانتهازية ، اسطبلات حقيقية من التفاهة وضيق الأفق ، والحماقة ، والارتداد أشبه باسطبلات أوجياس (٣٢) . . .

* * *

من الأرجح أن القارئ قد لاحظ أن كاوتسكي يتحدث ، في الفقرة المذكورة آنفاً من كتابه ، عن المساس بحق الانتخاب العام (الذي يسميه ، — ونقول هذا عرضاً بين هلالين — ينبوعاً عميقاً لسلطة معنوية جبارة ، في حين أن انجلس يتحدث ، بصدد كومونة باريس نفسها ومسألة الديكتاتورية نفسها ، عن سلطة الشعب المسلح ضد البرجوازية . فمن الدلالة بمكان أن نقارن بين رأي التافه الضيق الأفق ورأي الثوري حول «السلطة» . . .) .

اننا نلفت الانتباه الى أن قضية حرمان المستثمِرين من حق الانتخاب قضية **روسية صرف** ، لا قضية ديكتاتورية البروليتاريا بوجه عام . ولو ان كاوتسكي عنون كراسه ، دون رياء ، بعنوان

«ضد البلاشفة» ، لجاء هذا العنوان منطبقاً على الفحوى ، ولكان من حق كاوتسكي آنذاك أن يتحدث مباشرةً عن حق الانتخاب . ولكن كاوتسكي شاء قبل كل شيء أن يظهر بمظهر «النظري» فعنون كراسه بعنوان : «ديكتاتورية البروليتاريا» **بوجه عام** . وهو لا يتناول بالبحث السوفييتات وروسيا خاصةً الا في القسم الثاني من كراسه ، ابتداء من المقطع ٦ . أما القسم الأول (الذي أخذت منه المقطـــع المذكور آنفاً) ، فيبحث في **الديموقراطيـــة وفي الديكتاتورية بوجه عام** . وحين تطرق كاوتسكي الى حق الانتخاب ، **فضح نفسه** بنفسه بصفته مناظراً خصماً للبلاشفة ، **لا تستحق النظرية برأيه فلساً واحداً** . لأن النظرية ، أي البحث في الأسس الطبقية العامة – لا الخاصة بأمة من الأمم – للديموقراطيـــة والديكتاتورية ، يجب أن لا تتناول مسألة خاصة كمسألة حـــق الانتخاب ، بل يجب أن تتناول القضية العامة التالية : هل يمكن **الحفاظ** على الديموقراطية **للاغنياء وللمستثمرين** أيضاً ، فـــي المرحلة التاريخية التي تتميز باسقاط المستثمرين والاستعاضة عن دولتهم بدولة المستثمَرين ؟

هكذا ، وهكذا فقط ، يمكن للنظري أن يطرح المسألة .

اننا نعرف مثال الكومونة ، نعرف جميع محاكمات مؤسسي الماركسية بالارتباط بها وبصددها . واستناداً الى هذه الوثائق ، حللت مثلاً قضية الديموقراطية والديكتاتوريـــة في كراسي «الدولة والثورة» الذي كتبته قبل انقلاب أكتوبر . **ولم أنبس ببنت شفة** عن تقييد حق الانتخاب . واليوم يجدر القول ان قضية تقييد حق الانتخاب قضية خاصة بهذه الأمة أن تلك ، لا قضية عامة للديكتاتورية . فلدراسة قضية تقييـــد الحق الانتخابي ، ينبغي بحث **الظروف الخاصة** بالثورة الروسية ، **المجرى الخاص** لتطورها . وهذا ما سنفعله في سياق عرضنا . ولكنه من الخطأ التأكيد مسبقاً أن الثورات البروليتارية المقبلة في أوروبا ، جميعها أو معظمها ، ستفرض بالضرورة القيود على حق البرجوازيـــة الانتخابي . قد يحصل هذا . فبعد الحرب وتجربة الثورة الروسية ، سيحصل هذا على ما يبدو ؛ ولكن هذا **ليس ضرورياً** فيما يخص تطبيق الديكتاتوريـــة ، وليس هذا بعلامـــة **ضرورية** لمفهوم الديكتاتورية المنطقي ؛ ولا يشكـــل هذا أبداً ، بالنسبـــة

للديكتاتورية ، شرطاً **ضرورياً** من شروط مفهومها التاريخي والطبقي .

ان العلامة الضرورية ، الشرط الضروري للديكتاتورية ، انما هو قمع المستثمِرين بوصفهم **طبقة** ، عن طريق **العنف** ، وبالتالي **انتهاك** «الديموقراطية الخالصة» ، أي انتهاك المساواة والحرية ، **حيال** هذه **الطبقة** .

هكذا ، وهكذا فقط ، يمكن طرح المسألة نظرياً . أما كاوتسكي ، فهو ، اذ طرح المسألة على نحو آخر ، انما أثبت أنه يتهجم على البلاشفة ، لا كنظري ، بل كواش في خدمة الانتهازيين والبرجوازية .

أما في أية بلدان ، في أية خصائص وطنية لهذه الرأسمالية أو تلك ، ستطبق (كلياً أو بصورة رئيسية) هذه التدابير أو تلك لتقييد أو لانتهاك الديموقراطية بالنسبة للمستثمِرين ، فان ذلك رهن بالخصائص الوطنية لهذه الرأسمالية أو تلك ، لهذه الثورة أو تلك . ولكن المسألة النظرية تطرح بطريقة اخرى : هل ديكتاتورية البروليتاريا أمر ممكن **دون انتهاك الديموقراطية** حيال طبقة **المستثمِرين** ؟

وهذه المسألة ، **الوحيدة** الهامة والجوهرية في حقل النظرية ، هي التي تجنبها كاوتسكي . فقد أورد كاوتسكي كثرة من الفقرات من ماركس وانجلس ، **باستثناء الفقرات** التي لها صلة بهذه المسألة والتي أوردتها أعلاه .

لقد تحدث كاوتسكي عن كل شيء ، عن كل ما هو مقبول عند الليبيراليين والديموقراطيين البرجوازيين ولا يتعدى نطاق أفكارهم ، ما عدا الأمر الرئيسي ، وهو أن البروليتاريا لا تستطيع احراز الغلبة **اذا لم تسحق مقاومة** البرجوازية ، **اذا لم تقمع خصومها بالعنف** ، وانه **من البديهي أنه لا توجد الديموقراطية** حيث يوجد «القمع بالعنف» ولا توجد «الحرية» .

وهذا ما لم يفهمه كاوتسكي .

* * *

لننتقل الى تجربة الثورة الروسية والخلاف بين سوفييتات النواب والجمعية التأسيسية ، الذي أدى الى حل الجمعية التأسيسية والى حرمان البرجوازية من حق الانتخاب .

لا يجوز للسوفييتات ان تتحول الى هيئات للدولة

ان السوفييتات هي الشكل الروسي لديكتاتورية البروليتاريا . ولو أن نظرياً ماركسياً درس فعلاً هذه الظاهرة في مؤلف عن ديكتاتورية البروليتاريا (بدلاً من أن يردد ولولات البرجوازيين الصغار ضد الديكتاتورية كما يفعل كاوتسكي اذ يردد معزوفات المناشفة) ، لكان هذا النظري بدأ باعطاء تعريف عام للديكتاتورية ولكان انتقل فيما بعد الى شكلها الخاص ، الوطني ، السوفييتات ؛ ولكان نقد هذا الشكل بوصفه أحد أشكال ديكتاتورية البروليتاريا .

ومفهوم أنه لا يمكننا أن نتوقع أي شيء جدي من كاوتسكي ، بعد ما «عدّل» مذهب ماركس عن الديكتاتورية بطريقة ليبيرالية . ولكنه من بالغ الدلالة أن نرى كيف تناول مسألة السوفييتات وكيف خرج منها .

فقد كتب عن السوفييتات ، اذ يذكر ظهورها عام ١٩٠٥ ، انها أنشأت «شكل التنظيم البروليتاري ، الذي كان أشمل من أي شكل آخر ، اذ أنه كان يشمل جميع العمال (umfassendste) الأجراء» (ص ٣١) . في ١٩٠٥ ، لم تكن السوفييتات في روسيا سوى جمعيات محلية ؛ وفي ١٩١٧ ، غدت اتحاداً على نطاق البلاد .

ويتابع كاوتسكي قوله : «وللتنظيم السوفييتي الآن تاريخ كبير ومجيد . وينتظره تاريخ اقوى ، وليس في روسيا وحسب . فضد القوى الهائلة التي يتصرف بها الرأسمال المالي في الميدان الاقتصادي والسياسي ، يتبين في كل مكان ان الطرائق القديمة لنضال البروليتاريا الاقتصادي والسياسي غير كافية» (versagen ، وتعني هذه الكلمة الالمانية اكثر بقليل من «غير كافية» واقل بقليل من «عاجزة») . «لا يمكن التخلي عنها ، اذ لا تزال ضرورية في الاحوال العادية ، غير انها تواجه من حين الى آخر قضايا لا تستطيع لها حلا ، ولا يمكن حلها بنجاح ، الا باتحاد جميع الادوات السياسية والاقتصادية التي تتوافر لقوى الطبقة العاملة» (ص ٣٢) .

ثم تلي محاكمة عن الاضراب الجماهيري وعن أن «البيروقراطية النقابية» التي ، مع كونها ضرورية لا غنى عنها كالنقابات نفسها ،

«لا تصلح لقيادة المعارك الجماهيرية الهائلة التي تغدو أكثر فأكثر علامة من علائم عصرنا . . .»

ويخلص كاوتسكي الى القول : «. . . وهكذا اذن ، ان التنظيم السوفيتي ظاهرة من اهم ظواهر عصرنا . وهو يبشر باكتساب اهمية فاصلة في المعارك الكبيرة الحاسمة بين الرأسمال والعمل التي نسير نحوها .

ولكن ، هل يحق لنا ان نطلب من السوفييتات اكثر من ذلك ؟ فان البلاشفة الذين حصلوا مع الاشتراكيين-الثوريين اليساريين على الاغلبية في سوفييتات نواب العمال في روسيا ، بعد ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ (حسب التقويم الجديد ، او في اكتوبر - تشرين الاول - حسب التقويم القديم) ، شرعوا ، بعد حل الجمعية التاسيسية ، في تحويل السوفييت الذى كان حتى **ذاك منظمة كفاحية لطبقة** واحدة الى **منظمة للدولة** . فقد قضوا على الديموقراطية التي ظفر بها الشعب الروسي في ثورة آذار - مارس (حسب التقويم الجديد ، او شباط - فبراير - حسب التقديم القديم) . ومذ ذاك ، لم يعد البلاشفة يطلقون على انفسهم اسم الاشتراكيين-**الديموقراطيين** . واصبحوا يسمون انفسهم باسم **الشيوعيين**» (ص ٣٣ ، حرف التاكيد لكاوتسكي) .

ان من له المام بالأدب المنشفي الروسي ، يرى فوراً بأي مذلة وحقارة يستنسخ كاوتسكي مارتوف واكسيلرود وشتين وشركاهم . أجل ، «بمذلة وحقارة» لأن كاوتسكي يحرف الوقائع بصورة فظة مضحكة ، اكراماً للأوهام المنشفية . فان كاوتسكي لم يعن ، مثلاً ، باستقاء معلوماته من مخبريه ، أمثال شتين برلين أو اكسيلرود ستوكهلم ، ليعرف **في أي وقت** طرحت مسألة تغيير تسمية البلاشفة بتسمية الشيوعيين ، مسألة دور السوفييتات بوصفها منظمات للدولة . ولو أن كاوتسكي استقى هذه المعلومات البسيطة ، لما كان دبج هذه الأسطر التي تبعث على الضحك ، اذ أن هاتين المسألتين انما طرحهما البلاشفة **في نيسان (ابريل) ١٩١٧** ، مثلاً في «موضوعات» في ٤ نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، أي **قبل** ثورة أكتوبر ١٩١٧ **بزمن كبير** (وبالأحرى قبل حل الجمعية التأسيسية في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨) . (٣٣)

غير أن محاكمة كاوتسكي ، التي نقلتها بكليتها ، تؤلف **عقدة** قضية السوفييتات بكاملها . العقدة ، بمعنى أن المقصود على وجه الضبط أن نعرف ما اذا كان يتعين على السوفييتات أن تبذل جهدها

لكي تصبح منظمات للدولة (في نيسان (ابريل) ۱۹۱۷ ، رفع البلاشفة شعار : «كل السلطة للسوفييتات» ، وفي المجلس العام للحزب البلشفي ، الذي انعقد أيضاً في نيسان (أبريل) ۱۹۱۷ ، أعلنوا أنه لا يمكنهم أن يرضوا بقيام جمهورية برلمانيـــة برجوازية وانهم يطالبون بجمهورية عمالية وفلاحيـــة من طراز الكومونة أو من طراز السوفييتات) ، أم انه يتعين عليها أن لا تبذل أي جهد في هذا السبيل ، يتعين عليها أن لا تأخذ السلطة ، ولا تصبح منظمات للدولة ، بل يجب عليها أن تبقى «منظمات كفاحية» لـ«طبقة» واحدة (كما قال مارتوف ، حين موه وراء أمنيته البريئة واقع أن السوفييتات كانت ، تحت قيادة المناشفة ، **أداة من أجل اخضاع العمال للبرجوازية)** .

وبمذلة وحقارة ، ردد كاوتسكي أقوال مارتوف ؛ وقد أخذ **مقاطع** من المناقشة النظرية التي دارت بين البلاشفة والمناشفة ، ونقلها ، دون تحليل ولا تمحيص ، الى الميدان النظري العام ، الى الميدان الأوروبي العام . فكانت النتيجة سلاطة غريبة لو اطلع عليها أي عامل روسي مدرك ، لكان أغرق في الضحك الساخر الصاخب .

ان كل عمال أوروبا (باستثنـــاء حفنـــة من الاشتراكيين-الامبرياليين العريقين) سيستقبلون كاوتسكي بنفس الضحـــك الساخر الصاخب حين نشرح لهم الموضوع .

ان كاوتسكي ، اذ توسع في خطأ مارتوف — بوضوح باهر — ، الى حد السخف والخراقة ، انما خدمه خدمة الدب . وبالفعل ، انظروا الى ما وصل اليه كاوتسكي .

السوفييتات تشمل جميع العمال الأجراء . ضد الرأسمال المالي ، غدت الطرائق القديمة للنضال الاقتصادي والسياسي لدى البروليتاريا غير كافية . السوفييتات مدعوة الى الاضطلاع بدور عظيم ، لا في روسيا وحسب . ستضطلع السوفييتات بدور حاسم في المعارك الكبيرة الحاسمة بين الرأسمال والعمـــل في أوروبا . هكذا تكلم كاوتسكي .

عال ! «المعارك الحاسمة بين الرأسمال والعمل» ، ترى ، ألا تبت في مسألة أية من هاتين الطبقتين ستستولي على سلطـــة الدولة ؟

كلا ! لا شيء من هذا القبيل ، لا سمح الله !

ففي المعارك «الحاسمة» ، يجب على السوفييتات التي تشمل جميع العمال الأجراء ، **أن لا تصبح منظمة للدولة !**

وما هي الدولة ؟

الدولة ليست سوى آلة لقمع طبقة من جانب أخرى .

وهكذا يجب على الطبقة المظلومة ، طليعة جميع الكادحين وجميع المستثمَرين في المجتمع الراهن ، أن تهفو الى «المعارك الحاسمة بين الرأسمال والعمل» ، **ولكنه يجب عليها أن لا تمس** الالة التي يستخدمها الرأسمال لقمع العمل ! — — يجب عليها أن **لا تحطم** هذه الآلة ! — — **يجب عليها أن لا تستخدم** منظمتها الشاملة **من أجل قمع المستثمِرين !**

رائع ، ممتاز ، أيها السيد كاوتسكي ! «نحن» نقر بالنضال الطبقي ، كما يقر به جميع الليبيراليين ، أي دون اسقاط البرجوازية . . .

هنا ، تتضح بكل جلاء قطيعة كاوتسكي كلياً مع الماركسية ومع الاشتراكية على السواء ؛ وهذا يعني عملياً الانتقال الى صف البرجوازية ، التي ترضى بكل شيء ، ما عدا تحويل منظمات الطبقة التي تضطهدها الى منظمات للدولة . ولا ريب أن كاوتسكي سيعجز اطلاقاً هنا عن انقاذ موقفه وقوامه التوفيق بين جميع الأشياء واجتناب جميع التناقضات العميقة عن طريق الجمل والألفاظ المنمقة .

اما ان كاوتسكي يعدل تماماً عن فكرة انتقال سلطة الدولة الى الطبقة العاملة ، واما أنه يقبل أن تأخذ الطبقة العاملة في يدها آلة الدولة البرجوازية القديمة ، ولكنه لا يقبل بأي حال أن تحطم الطبقة العاملة هذه الآلة ، وتكسرها ، وتستعيض عنها بآلة جديدة ، بروليتارية . وسواء «أولنا» و«فسرنا» محاكمة كاوتسكي هذه بطريقة أو بأخرى ، فان قطيعته مع الماركسية وانتقاله الى جانب البرجوازية واضحان في مطلق الأحوال كل الوضوح .

حين أوضح ماركس في «البيان الشيوعي» أية دولة تحتاجها الطبقة العاملة الظافرة ، كتب يقول : «الدولة أي البروليتاريا المنظمة بوصفها طبقة سائدة» . وها هو ذا انسان يدّعي أنه لا يزال ماركسياً ويعلن مع ذلك أن البروليتاريا المنظمة بكليتها

والتي تخوض «النضال الحاسم» ضد الرأسمال **يجب عليها أن لا** تجعل من منظمتها الطبقية منظمة دولة . هنا ، يدلل كاوتسكي على هذا «الايمان الخرافي بالدولة» الذي قال عنه انجلس في عام ۱۸۹۱ انه «قد انتقل في المانيا الى وعي البرجوازية العام وحتى كثيرين من العمال» (٣٤) . ناضلوا ، أيهـــا العمال ! على هذا «يوافق» صاحبنا التافه الضيق الأفق (والبرجوازي «يوافق» عليه أيضاً ، اذ أن العمال يناضلون في كل حال فلا يبقى الا ايجاد الوسيلة لفل حدة سيوفهم) ؛ ناضلوا ولكن **اياكم أن تنتصروا** ! لا تدمروا آلة دولة البرجوازية ، لا تقيموا «منظمة الدولـــــة» البروليتارية مكان «منظمة الدولة» البرجوازية !

ان كل من يشارك حقاً المفهوم الماركسي القائل ان الدولة ليست سوى آلة لقمع طبقة من جانب أخرى ، كل من تأمل نوعاً في هذه الحقيقة ، لن ينطق أبداً بهذه الخراقة القائلة انه يجب على المنظمات البروليتارية القادرة على قهر الرأسمال المالي ، أن لا تتحول الى منظمات للدولة . فهنا بالضبط يظهر البرجوازي الصغير الذي تظل الدولة بنظره ، «مع ذلك» ، شيئاً خارج الطبقات أو فوق الطبقات . وبالفعل ، لماذا يجوز للبروليتاريا ، ل«**طبقة واحدة**» ، أن تخوضها حرباً حاسمة" ضد **الرأسمال** الذي يبسط سيطرته ، لا على البروليتاريا وحسب ، بل على الشعب بأسره ، على عموم البرجوازية الصغيرة ، على جميـــع الفلاحين ، — ولا يجوز لهذه البروليتاريا ، لهذه «**الطبقة الواحدة**» ، أن تحول منظمتها الى منظمة دولة ؟ لأن البرجوازي الصغير **يخاف** النضال الطبقي ولا يخوضه الى **النهاية ، حتى الشيء الأهم** .

لقد التبس الأمر كلياً على كاوتسكي فكشف نفسه بنفسه كلياً . فهو يعترف بنفسه ، — ولاحظوا هذا جيداً — ان أوروبا تسير نحو معارك حاسمة بين الرأسمال والعمل ، وان الطرائق القديمة للنضال الاقتصادي والسياسي لدى البروليتاريا غيـــر كافية . والواقع أن هذه الطرائق كانت تتقوم على وجه الضبط في استخدام الديموقراطية **البرجوازية** . اذن ؟ . . .

غير أن كاوتسكي لم يجرؤ على استخلاص النتيجة المنطقية .

. . . اذن ، لا بدّ أن يكون المرء رجعياً ، عدواً للطبقـــة العاملة ، خادماً ذليلاً" للبرجوازيـــة ، حتى يبالغ الآن في اطراء

محاسن الديموقراطية البرجوازية ويثرثر حول الديموقراطية الخالصة ، مديراً وجهه نحو الماضي الذي ولى . لقد **كانت** الديموقراطية البرجوازية خطوة الى الامام بالنسبة للقرون الوسطى ، وكان ينبغي الاستفادة منها . ولكنها اليوم **غير كافية** بالنسبة للطبقة العاملة . فالمقصود الآن لا النظر الى الوراء ، بل الى الامام ، الى احلال الديموقراطية **البروليتارية** محل الديموقراطية البرجوازية . واذا كانت الأعمال التحضيرية للثورة البروليتارية ، وتدريب الجيش البروليتاري وتشكيله ، اذا كان كل هذا أمراً ممكناً (وضرورياً) **في نطاق** الدولة الديموقراطية البرجوازية ، فان من يحصر البروليتاريا ضمن هذا النطاق في فترة بلغنا فيها «المعارك الحاسمة» انما يخون القضية البروليتارية ، ويسلك سلوك المرتدين .

لقد وقع كاوتسكي في مأزق في منتهي السخرية : فقد تبنى برهان مارتوف **دون أن يلحظ** أن هذا البرهان يستند عند مارتوف الى برهان **آخر** لا وجود له عند كاوتسكي ! فأن مارتوف يبرهن (وكاوتسكي يردد على أثره) أن روسيا لم تنضج بعد للاشتراكية ؛ ينجم عن ذلك بصورة طبيعية انه لم يئن الأوان لتحويل السوفييتات من هيئات للنضال الى منظمات للدولة (اقرأ : من المناسب تحويل السوفييتات ، بمساعدة زعماء المناشفة ، الى هيئات من أجل **اخضاع** العمال للبرجوازية الامبريالية) . والحال ، **لا يستطيع** كاوتسكي أن يقول بصراحة ان أوروبا لم تنضج للاشتراكية . ففي ۱۹۰۹ ، كتب كاوتسكي ، قبل أن يمسي مرتداً ، أنه ينبغي الآن أن لا نخشى قيام ثورة **قبل الأوان** وان من يتخلى عن الثورة خوفاً من الهزيمة ، يصبح خائناً . ان كاوتسكي لا يجرؤ على جحد قوله **علناً وجهاراً** . ينجم عن ذلك تشوش يكشف القناع كلياً عن حماقته وحقارته البرجوازية الصغيرة : من جهة نضوج أوروبا للاشتراكية وهي تسير نحو معارك العمل الحاسمة ضد الرأسمال ؛ ومن جهة أخرى ، **ممنوع** تحويل **المنظمة الكفاحية** (أي التي تتكوّن وتنمو وتقوى في معمعان النضال) ، منظمة البروليتاريا ، طليعة المظلومين ومنظّمتهم وزعيمتهم ، الى منظمة للدولة !

* * *

ان الفكرة القائلة بأن السوفييتات ضرورية بوصفها منظمة كفاحية ، ولكنه يجب أن لا تتحول الى منظمات دولة ، هي ، من الناحية السياسية العملية ، أخرق بما لا حد له مما من الناحية النظرية . فحتى في زمن السلم ، حين لا يوجد وضع ثوري ، يؤدي النضال الجماهيري الذي يخوضـــه العمال ضد الرأسماليين ، كالاضراب الجماهيري مثلاً ، الى تفاقم الغضب المريع عنـــد الفريقين ، الى اشتداد النضال حتى الذروة ؛ ولا تكف البرجوازية من القول والترداد انها لا تزال وتريد أن تبقى «سيدة في بيتها» ، الخ . . والحال ، ابان الثورة ، حين تغلي الحياة السياسية ، تشمل منظمة ، مثل السوفييتات ، **جميع** العمال في **جميع** الصناعات ، ثم **جميع** الجنود وجميع السكان الكادحين والفقراء في الأرياف ، ان مثل هذه المنظمة تنساق بالضرورة ، من تلقاء نفسها ، بحكم تطور النضال ، بمجرد «منطق» الهجوم والرد ، الى وضع المسألة **جبهياً** . ومن يحاول أن يتخذ موقفاً وسطاً ، وأن «يوفق» بين البروليتاريا والبرجوازية ، انما يرتكب حماقة ويمنى بهزيمة شنعاء : هكذا كان مثلاً في روسيا مصير مواعظ مارتوف وسائر المناشفة ؛ وهكذا سيكون الحال بالضرورة في ألمانيا وفي البلدان الأخرى ، اذا ما تطورت السوفييتات تطوراً واسعاً نوعاً ما ، وتوافر لها الوقت للاتحاد والرسوخ . فان تقول للسوفييتات : ناضلي ، ولكن لا تأخذي كامل سلطة الدولة في يدك ، لا تصبحي منظمات دولة ، فكأنـــك تعظ بالتعاون بين الطبقات و«السلام الاجتماعي» بين البروليتاريا والبرجوازية . فمن المضحك الاعتقاد ان مثل هذا الموقف في غمرة من النضال الضاري يمكن أن يؤدي الى غير الافلاس المخزي . وما مصير كاوتسكي ، مصيره الدائـــم الا الجلوس بين كرسيين . فهو يتظاهر بأنه لا يوافق الانتهازيين على أية نقطة في حقل النظرية ، ولكنه في الحقيقة ، على اتفاق معهم **في التطبيق العملي** ، في كل ما هو جوهري (أي في كل ما له علاقة بالثورة) .

الجمعية التأسيسية والجمهورية السوفييتية

الجمعية التأسيسية وحلها من قبل البلاشفة ، تلك هي عقدة كل كراس كاوتسكي . وهو يعود اليها على الدوام . ففي كل سطر ،

يذكر زعيم الأممية الثانية الفكري ، في مؤلفه ، بأن البلاشفة «قد قضوا على الديموقراطية» (راجعوا أعلاه مقطعاً لكاوتسكي) . وهذه مسألة طريفة وهامة حقاً ، لأن العلاقة المتبادلة بين الديموقراطية البرجوازية والديموقراطية البروليتارية واجهت الثورة بصورة عملية . لنرَ اذن كيف يعالج صاحبنا «النظري الماركسي» هذه المسألة .

انه يورد «موضوعات عن الجمعية التأسيسية» التي كتبتها أنا ونشرتها «البرافدا» في ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧ . يمكن الظن أن ليس ثمة من برهان أفضل على الطريقة الجدية التي يتناول فيها كاوتسكي موضوعه ، متسلحاً بالوثائق . ولكن لنرَ **كيف** يستخدم كاوتسكي الاستشهادات . فهو لا يقول ان هذه الموضوعات كانت ١٩ ؛ لا يقول ان واضعها يبحث فيها سواء العلاقة المتبادلة بين الجمهورية البرجوازية العادية والجمعية التأسيسية من جهة ، وجمهورية السوفييت من جهة أخرى ، **أو تاريخ** الخلاف الذي نشب في ثورتنا بين الجمعية التأسيسية وديكتاتورية البروليتاريا . كل هذا يتحاشاه كاوتسكي ، بل يعلن للقارىء بكل بساطة «ان اثنتين منها (من هذه الموضوعات» تتسمان بأهمية خاصة» : احداهما ، هي أن الاشتراكيين-الثوريين قد انقسموا بعد الانتخابات الى الجمعية التأسيسية ، ولكن قبل انعقاد هذه الجمعية (ويغفل كاوتسكي القول ان هذه الموضوعة هي الخامسة) ؛ واخرى ، أن الجمهورية السوفييتية هي ، بوجه عام ، شكل ديموقراطي أعلى من الجمعية التأسيسية (ويغفل كاوتسكي القول أن هذه الموضوعة هي الثالثة) .

ومن هذه الموضوعة الثالثة فقط ، يورد كاوتسكي فقرة صغيرة بكاملها وهي :

«ليست جمهورية السوفييتات مجرد شكل نموذج أعلى من نماذج المؤسسات الديموقراطية (بالقياس الى الجمهورية البرجوازية **العادية** في ظل الجمعية التأسيسية كتتويج لها) بل هي أيضاً الشكل الوحيد القادر على تأمين الانتقال الى الاشتراكية بأقل الآلام *» (ويغفل كاوتسكي كلمة «عادية» وكلمات مقدمة

* وللمناسبة . هذا التعبير : الانتقال «بأقل الآلام» ، انما يورده كاوتسكي مرارا عديدة ، محاولا جهده ، على ما يبدو ، ان يتهكم . ولكن ،

الموضوعة : «من أجل الانتقال من النظام البرجوازي الى النظام الاشتراكي ، من أجل ديكتاتورية البروليتاريا» .
وبعد أن يورد كاوتسكي هذه الفقرة ، يصيح بسخرية رائعة :

«من المؤسف فقط انهم لم يخلصوا الى هذا الاستنتاج الا بعد ان وجدوا انفسهم اقلية في الجمعية التاسيسية . مع ان احدا لم يطالب بهـا فيما مضى بصورة عاصفة اكثر من لينين» .

هذا ما ورد حرفيا في الصفحة ٣١ من كتاب كاوتسكي !
أليس هذا القول درة حقيقية ! ان الكذاب الواشي العامل فى خدمة البرجوازية هو وحده الذي يستطيع أن يزور الوقائع بهذا الشكل ، لكي يوهم القارىء بأن جميع أحاديث البلاشفة عن نموذج الدولة الأعلى هي مجرد اختراع ظهر **بعد** أن وجد البلاشفة أنفسهم أقليــة في الجمعية التأسيسية ! ! ان مثل هذا الكذب السافل لـم يكن من الممكن أن يصدر الا عن نذل باع نفسه للبرجوازية ، أو ، – والأمران سيان اطلاقاً – اعتمد على ب . اكسيلرود (٣٥) وأولاه ثقته ساتراً في الوقت نفسه أسماء مخبريه .
وبالفعل ، يعرف الجميع أني ، منذ اليوم الأول لوصولي الى روسيا – في ٤ نيسان (ابريل) ١٩١٧ – تلوت أمام الجمهور موضوعات أعلنت فيها تفوق دولة من طراز الكومونة على الجمهورية البرلمانية البرجوازية . ثم كررت الشيء نفسه كتابة ، **مراراً عديدة** ، كما فعلت مثلاً في كراسي عن الأحزاب السياسيـــــة (٣٦) . وقد ترجم هذا الكراس الى الانجليزية ، ونشرته في اميركا جريدة «Evening Post» («ايفنينغ بوست») النيويوركية في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . وفضلاً عن ذلك ، ان المجلس العام للحزب البلشفي ، المنعقد في أواخر نيسان (أبريل) ١٩١٧ ، قد

بما انه يبذل هذا الجهد بوسائل هزيلة ، فانه يغش بعد بضع صفحات ويزور قائلا : الانتقال «بلا آلام» ! وطبيعي ، انه لا يصعب على المرء ، بمثل هذه الوسائل ، ان ينسب الى خصمه أية غباوة . وهذا الغش يتيح ايضا تجنب الحجة من حيث الاساس : ان الانتقال الى الاشتراكية باخف الآلام لا يمكن الا بوساطة تنظيم الفقراء تنظيما كليـــا (السوفييتـــات) وبمساعدة مركز سلطة الدولة (البروليتاريا) لهذا التنظيم .

اتخذ قراراً لاحظ فيه أن الجمهورية البروليتارية الفلاحية أعلى من الجمهورية البرلمانية البرجوازية ، وأن هذه الأخيرة لا يمكنها أن ترضي حزبنا ؛ وانه ينبغي بالتالي تعديل برنامج الحزب على هذا الأساس (٣٧) .

فاي نعت نطلق بعد هذا على فلتـــة كاوتسكي ، حين اكـد للقراء الالمان أني طالبت بالحاح عاصف بعقد الجمعية التأسيسية وأني لم أشرع في «التقليل» من شرف الجمعية التأسيسية وكرامتها الا بعد أن وجد البلاشفة أنفسهم فيها أقلية ؟ بِمَ يبرر هذه الفلتة ؟ * بأن كاوتسكي لم يكن على علم بمجرى الامور ؟ ولكن ، لماذا اذن راح يتحدث عنها ؟ أو لماذا لم يصرح بنزاهة وأمانة : أنا ، كاوتسكي ، أكتب استناداً الى معلومات قدّمها المناشفــة شتين واكسيلرود وشركاهما ؟ ان كاوتسكي ، الذي يتظاهر بأنه موضوعي ، يسعى الى اخفاء دوره كخادم ذليل للمناشفـــة الذين اغتموا لهزيمتهم .

ولكن تلك هي الأزهار فقط ، أما الثمار فتأتي فيما بعد .

لنفترض ان كاوتسكي لم يشأ أو لم يستطع (؟ ؟) أن يتلقى من مخبريه ترجمة قرارات البلاشفة وتصريحاتهم حول مسألة ما اذا كانوا يقتنعون بالجمهورية الديموقراطية البرلمانية البرجوازية . لنفترض حتى هذا الأمر ، وان كان غير معقول . ولكن موضوعاتي في ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧ ، انما **يوردها** كاوتسكي **صراحة** في الصفحة ٣٠ من كتابه .

هذه الموضوعات ، هل يعرفها كاوتسكي بكليتها ، أم أنه لا يعرف منها الا ما ترجمه له منها اضراب شتين واكسيلرود وشركاهم ؟ ان كاوتسكي يورد الموضوعة **الثالثة** حول المسألة **الجذرية : قبل** الانتخابات الى الجمعية التأسيسية ، هل أدرك البلاشفة وأعلنوا **للشعب** أن الجمهورية السوفييتية أعلى من الجمهورية البرجوازية ؟ **ولكن كاوتسكي لا ينبس بكلمة عن الموضوعـــة الثانية .**

وهذه الموضوعة الثانية تقول :

* هذا مع العلم ان في كراس كاوتسكي فيضا من مثل هذه الاكاذيب المنشفية ! فما هذا الكراس الا عبارة عن رسالة قدح وهجو بقلم منشفي حقود .

«ان الاشتراكية الديموقراطية الثورية ، اذ عرضت مطلب عقد الجمعية التأسيسية ، **قد أشارت غير مرة** ، منذ بدء بادىء الثورة عام ١٩١٧ ، الى **أن جمهورية السوفييتات هي شكل للديموقراطية أعلى من الجمهورية البرجوازية العادية التي تقوم فيها جمعية تأسيسية**» (حرف التأكيد مني) .

ولكي يصور السيد كاوتسكي البلاشفة على أنهم أناس لا مبدأ لهم ، «انتهازيون ثوريون» (هذا التعبير ، استعمله كاوتسكي في مكان ما من كتابه ، ولا أذكر بأي صدد) ، **أخفى عن القراء الألمان** أن الموضوعات تذكر صراحة «**كثرة**» من البيانات والتصريحات السابقة !

هذه هي الطرائق التافهة ، الحقيرة ، المخزية التي لجأ اليها السيد كاوتسكي . وهكذا استطاع أن يتهرب من المسألة **النظرية** .

أصحيح أم لا ان الجمهورية الديموقراطية البرجوازية البرلمانية **أدنى** من جمهورية من طراز الكومونة أو من طراز السوفييتات ؟ هنا عقدة المسألة وهذا ما تركه كاوتسكي جانباً . وكل ما أعطاه ماركس في تحليله لكومونة باريس ، «نسيه» كاوتسكي . كما «نسي» رسالة انجلس الى بيبل في ٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ ، حيث أعرب عن فكرة ماركس هذه نفسها بجلاء خاص وبصراحة بالغة : «ان الكومونة لم تكن دولة بمعناها الخاص» .

فها هو اذن أبرز نظري في الأممية الثانية يدبج كراساً خاصاً عن «ديكتاتورية البروليتاريا» ، ويتناول فيه روسيا على الأخص ، حيث طرحت مباشرةً ومراراً عديدةً مسألة شكل دولة أعلى من الجمهورية الديموقراطية البرجوازية ، فاذا هو يلزم الصمت حول هذه المسألة . فما معنى هذا **عملياً** ان لم يكن الانتقال الى جانب البرجوازية ؟ (ونلاحظ بين هلالين أن كاوتسكي يسير هنا أيضاً في ذيل المناشفة الروس . فانك لواجد بين هؤلاء قدر ما تريد ممن يعرفون «جميع نصوص» ماركس وانجلس ، ولكنك لن تجد منشفياً واحداً حاول **مرة واحدة** ، من نيسان (ابريل) ١٩١٧ الى تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٧ ومن تشرين الأول ١٩١٧ الى تشرين الأول ١٩١٨ ، أن يحلل مسألة دولة من طراز الكومونة .

وبليخانوف أيضاً تهرب من هذه المسألة . **وكان لا بدَّ لهم ، على ما يبدو ، أن يسكتوا**) .

ويقينا انك اذا تحدثت عن حل الجمعية التأسيسية (٣٨) مع أناس يقولون عن أنفسهم انهم اشتراكيون وماركسيون ولكنهم في الواقع ينتقلون الى جانب البرجوازية في المسألة **الرئيسية** ، مسألة دولة من طراز الكومونة ، فكأنك ترمي الجواهر أمام الخنازير . حسبي أن أنشر ، في ملحق لهذا الكراس ، موضوعاتي عن الجمعية التأسيسية بنصها الكامل . حتى يرى القارىء ان المسألة قد طرحت في ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧ من الوجهة النظرية والتاريخية والسياسية والعملية .

واذا كان كاوتسكي قد جحد الماركسية تماماً بوصفه نظرياً ، فقد كان في مستطاعه ، مؤرخاً ، أن ينظر في قضية الصراع بين السوفييتات والجمعية التأسيسية . ونحن نعلم من كثرة من مؤلفات كاوتسكي أنه **عرف** كيف يكون مؤرخاً ماركسياً ، وان مؤلفاته **هذه** ستظل ذخراً وطيداً في تراث البروليتاريا ، رغم ارتداد صاحبها فيما بعد . ولكن كاوتسكي ، بوصفه مؤرخاً أيضاً ، **ينحرف** في هذه المسألة عن الحقيقة ، ويزدرى الوقائع التي **يعرفها الجميع** ، ويسلك سلوك الواشين . فهو **يود** لو يظهر البلاشفة على أنهم أناس لا مبدأ عندهم ، ويروي كيف حاولوا أن **يخففوا** من حدة نزاعهم مع الجمعية التأسيسية ، قبل حلها . وليس في هذا أي سوء اطلاقاً ، وليس ثمة ما نجحده ؛ فاني أنشر موضوعاتي بنصها الكامل وقد جاء فيها بصراحة ما بعدها صراحة : ايها السادة البرجوازيون الصغار المترددون ، المعتصمون في الجمعية التأسيسية ، اما أن ترضخوا لديكتاتورية البروليتاريا ، واما ان نتغلب عليكم «بالسبيل الثوري» (الموضوعتان ١٨ و١٩) .

هكذا سلكت البروليتاريا الثورية حقاً على الدوام وستسلك أيضاً على الدوام ازاء البرجوازية الصغيرة المترددة .

وحول مسألة الجمعية التأسيسية ، يتمسك كاوتسكي بنظرة شكلية . فقد قلت في موضوعاتي بكل وضوح وكررت مراراً عديدة أن مصالح الثورة تعلو الحقوق الشكلية للجمعية التأسيسية (راجعوا الموضوعتين ١٦ و١٧) . ان وجهة النظر الديموقراطية الشكلية هي بالضبط وجهة نظر الديموقراطي **البرجوازي** الذي لا

يقبل بأن تعلوها مصالح البروليتاريا والنضال الطبقي البروليتاري . ان كاوتسكي ، مؤرخاً ، كان لا بد له من أن يعترف بأن البرلمانات البرجوازية هي هيئات هذه الطبقة أو تلك . ولكنه بحاجة الآن الى نسيان الماركسية (بغية ارتكاب هذه الفعلة السوداء التي هي جحد الثورة) ؛ ولذا فان كاوتسكي لا **يطرح السؤال** التالي : هيئة أية **طبقة** كانت تمثل الجمعية التأسيسية في روسيا . ولا يحلل كاوتسكي الوضع الملموس ، ولا يريد أن يرى الى الوقائع ، ولا يقول أية كلمة لقرائه الألمان لكي يعلمهم أن هذه الموضوعات لا تتضمن ايضاحاً نظرياً لطابع الديموقراطية البرجوازية المحدد (الموضوعات ١-٣ وحسب ، لا تتضمن بحث الشروط والظروف الملموسة التي جعلت اللوائح الحزبية الموضوعة في منتصف تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ لا تناسب الوضع الفعلي في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧ (الموضوعات ٤-٦) وحسب ، بل تتضمن أيضاً **تاريخ النضال الطبقي والحرب الأهلية** في تشرين الأول - كانون الأول (أكتوبر - ديسمبر) ١٩١٧ (الموضوعات ٧-١٥) . ومن هذا التاريخ الملموس ، خلصنا الى الاستنتاج التالي (الموضوعة ١٤) وهو أن شعار «كل السلطة للجمعية التأسيسية» أصبح **في الواقع** شعار الكاديت وأنصار كاليدين (٣٩) وأعوانهم .

والمؤرخ كاوتسكي لا يلحظ هذا . المؤرخ كاوتسكي لم يسمع قط بأن حق الانتخاب العام يعطي أحياناً برلمانات ذات طابع برجوازي صغير وأحياناً برلمانات رجعية ومضادة للثورة . وكاوتسكي ، المؤرخ الماركسي ، لم يسمع بأن شكل الانتخابات ، شكل الديموقراطية شيء ، وأن المضمون الطبقي لمؤسسة معينة شيء آخر . وهذه المسألة ، مسألة المضمون الطبقي للجمعية التأسيسية ، مطروحة ومحلولة بوضوح في موضوعاتي . قد لا يكون حلي صحيحاً . وأشد ما نرغب فيه أن يأتينا من الخارج انتقاد ماركسي لتحليلنا . ويحسن بكاوتسكي أن يقوم بهذا الانتقاد بدلاً من رصف الجمل الخرقاء (وهي كثيرة عند كاوتسكي) التي يدعي بها أنه يحال دون انتقاد البلشفية . ولكن الحقيقة هي أنه لا يوجد شيء عنده في حقل الانتقاد . حتى انه **لا يطرح السؤال** حول تحليل السوفييتات من جهة والجمعية التأسيسية من

جهة أخرى تحليلاً طبقياً . ولذا **لا توجد أية امكانية** للجدال والنقاش مع كاوتسكي ؛ ولا يبقى الا أن **نبين** للقارىء لماذا لا يمكن نعت كاوتسكي الا بأنه مرتد .

ان للخلاف بين السوفييتات والجمعية التأسيسية تاريخاً ما كان أمكن حتى لمؤرخ لا يعتنق وجهة نظر النضال الطبقي أن يتجاهله . ولكن ، حتى تاريخ هذه الوقائع ، لم يشأ كاوتسكي أن **يلمسه** . وهو يخفي عن القراء الألمان هذا الواقع المعروف للجميع (الذي يخفيــه اليوم شر المناشفــة فقط) وهو أن السوفييتات كانت على خلاف مع مؤسسات «عموم الدولة» (أي المؤسسات البرجوازية) حتى في عهد سيطرة المناشفة ، أي من أواخر شباط (فبراير) حتى تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٧ . وفي الأساس ، يقف كاوتسكي موقف التوفيق والاتفاق والتعاون بين البروليتاريا والبرجوازية ؛ وعبثا ينكر هذا ، فان هذا الموقف هو حقاً موقفه ، فكل كراسه يشهد عليه . كان لا ينبغي حل الجمعية التأسيسية ، وهذا ما يعني : كان لا ينبغي السير بالنضال ضد البرجوازية الى النهاية ، كان لا ينبغي اسقاطها ، كان ينبغي أن تتوافق البروليتاريا مع البرجوازية .

فلماذا سكت اذن كاوتسكي عن أن المناشفة قاموا بهذه الفعلة غير المشرفـــة ، من شباط (فبراير) الى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ ، ولم يبلغوا شيئاً ؟ فلو انه كان من الممكن التوفيق بين البرجوازية والبروليتاريـــا ، فلماذا لم ينجح هذا التوفيق في عهد المناشفة ، لماذا وقفت البرجوازية في معزل عن السوفييتات ، لماذا دعيت السوفييتات (من جانب **المناشفـــة**) «الديموقراطية الثوريـــة» ، والبرجوازيـــة «عناصر النصاب الانتخابي» ؟

لقد أخفى كاوتسكي عن القراء الألمان أن المناشفة هم الذين نعتوا السوفييتات بالديموقراطية الثورية في «عهد» سيطرتهـــم (شباط – تشرين الأول ١٩١٧) ، معترفين **بالتالي** بتفوقها على جميع المؤسسات الأخرى . وباخفاء هذا الواقع ، بهذه الطريقة فقط ، ينجم عند المؤرخ كاوتسكي أن **الخلاف** بين السوفييتات والبرجوازية لا تاريخ له ، وانه نشأ فجأة ، بغتة ، بلا دوافع ، عن سوء سلوك البلاشفة . ولكن الواقع يبين أن **تجربة أكثر من**

ستة أشهر (وهي مدة كبيرة جداً بالنسبة للثورة) من النشاط التوفيقي المنشفي ، من المحاولات للتوفيق بين البروليتاريـــــا والبرجوازية ، قد أقنعت الشعب على وجه الضبط بعقم هذه المحاولات وأبعدت البروليتاريا عن المناشفة .

ان كاوتسكي يعترف بأن السوفييتات منظمة كفاحية رائعة للبروليتاريا ، منظمة ينتظرها مستقبل عظيم . وعليه ، ينهار كل موقف كاوتسكي كقصر من الكرتون أو كحلم برجوازي صغير يود لو يتجنب نضال البروليتاريا الضاري ضد البرجوازية . لأن الثورة كلها نضال مستمر ومستميت أيضاً ؛ ولأن البروليتاريا هي الطبقة السائرة في طليعة **جميع** المضطهَدين ، وبؤرة ومركز جميع مساعي **جميع** المضطهَدين على اختلافهم الى التحرر والانعتاق . وبالطبع ، عكست السوفييتات ، — الهيئات النضالية للجماهير المضطهَدة ، — وجسدت مزاج هذه الجماهير وتغيرات مفاهيمها بأسرع من أية مؤسسات أخرى ، وبمزيد من الكمال والدقة (وفي هذا أحد الأسباب التي تجعل من الديموقراطية السوفييتية النموذج الأعلى بين نماذج الديموقراطية) .

ومن ٢٨ شباط (فبراير) الى ٢٥ تشرين الأول (أكتوبـــر) ١٩١٧ (حسب التقويم القديم) ، استطاعت السوفييتات أن تعقد مؤتمرين **اثنين** لعموم روسيا يمثلان الأغلبية الساحقة من سكان روسيا ، يمثلان جميع العمال والجنود ، وسبعة أو ثمانية أعشار الفلاحين ، هذا عدا طائفة من المؤتمرات المحلية ، في الأقضية والمدن والمحافظات والمقاطعات . وفي هذه الحقبة ، لم تنجح البرجوازية في عقد أية هيئة تمثل الأغلبية (باستثناء «المداولة الديموقراطية» (٤٠) التي كانت واضحة التزييف ، وتهكماً حقيقيـاً أثار غضب البروليتاريا) . وقد عكست الجمعية التأسيسية المزاج **نفسه** عند الجماهير ، التكتلات السياسية **نفسها** التي عكسها المؤتمر الأول لسوفييتات عموم روسيا في (حزيران) (يونيو)) . وحين انعقدت الجمعية التأسيسيـــة (كانون الثاني — يناير — ١٩١٨) ، كان قد انعقد المؤتمر الثانـــي للسوفييتات (تشرين الأول — أكتوبر ١٩١٧) والمؤتمر الثالث (كانون الثاني ١٩١٨) اللذان بيَّنا كلاهما **بوضوح ما بعده وضوح** أن الجماهير قد

تطورت نحو اليسار ، وتشربت بالروح الثوري ، وأدارت ظهرها للمناشفة والاشتراكيين الثوريين ، وانتقلت الى جانب البلاشفة **أي** أنها أدارت ظهرها للقيادة البرجوازية الصغيرة ، لأوهام التوافق مع البرجوازية ، وانتقلت الى جانب نضال البروليتاريا الثوري من أجل اسقاط البرجوازية .

وهكذا يبرهن مجرد سرد **تاريخ** السوفييتات أن الجمعية التأسيسية كانت **رجعية** وأن حلها كان محتماً لا مناص منه . ومع ذلك ، يتشبث كاوتسكي «بشعار»ه : لتهلك الثورة ، ولتنتصر البرجوازية على البروليتاريا ، شرط أن تزدهر «الديموقراطية الخالصة» ! Fiat justitia, pereat mundus! *

وفيما يلي لوحة موجزة عن تركيب مؤتمرات السوفييتات في عموم روسيا خلال تاريخ الثورة الروسية :

مؤتمرات السوفييتات لعامة روسيا	عدد المندوبين	منهم البلاشفة	النسبة المئوية من البلاشفة
الاول (٣ – ٦ – ١٩١٧)	٧٩٠	١٠٣	١٣ بالمئة
الثاني (٢٥ – ١٠ – ١٩١٧)	٦٧٥	٣٤٣	٥١ بالمئة
الثالث (١٠ – ١ – ١٩١٨)	٧١٠	٤٣٤	٦١ بالمئة
الرابع (١٤ – ٣ – ١٩١٨)	١٢٣٢	٧٩٥	٦٤ بالمئة
الخامس (٤ – ٧ – ١٩١٨)	١١٦٤	٧٧٣	٦٦ بالمئة

حسبنا أن نلقي نظرة على هذه الأرقام حتى ندرك لماذا هذا الدفاع عن الجمعية التأسيسية أو خطابات أولئك الذين يزعمون – مثل كاوتسكي – أن البلاشفة لا يتمتعون بتأييد أغلبية السكان ، لا تثير عندنا غير الضحك .

---

* ليأخذ العدل مجراه ، ولو هلك العالم ! الناشر .

ان حرمان البرجوازية من الحقوق الانتخابية لا يشكل ، كما سبق وأشرت ، سمة لازمة لا غنى عنها لديكتاتورية البروليتاريا . وفي روسيا أيضاً ، لم يتحدث البلاشفة مسبقاً عن حرمان المستثمرين من الحقوق الانتخابية ، مع انهم رفعوا شعار هذه الديكتاتورية قبل أكتوبر (تشرين الأول) بزمن بعيد . ان **هذا** العنصر من العناصر التي تؤلف الديكتاتورية لم يولد من «برنامج» ما وضعه حزب ما ؛ انما **انبثق** من تلقاء نفسه في غمرة النضال . وبالطبع ، لم يلحظ كاوتسكي المؤرخ هذا الأمر . ولم يدرك أن البرجوازية قد فصلت نفسها بنفسها عن السوفييتات في عهد سيطرة المناشفة (أنصار التوافق مع البرجوازية) في السوفييتات ، وقاطعتها وأفصحت عن معارضتها لها ، وحاكت الدسائس ضدها . ان السوفييتات قد انبثقت دون أي دستور ، وظلت **أكثر من سنة** (من ربيع ١٩١٧ الى صيف ١٩١٨) خارج كل دستور . أما ما **هيّأ** فصل البرجوازية صراحة عن السوفييتات ، فهو : حقد البرجوازية على تنظيم المضطهَدين تنظيماً مستقلاً وكلي الجبروت (لأنه شامل للجميع) ، ونضال البرجوازية ضد السوفييتات نضالاً مغرضاً ، قذراً ، غاية في الوقاحة ، وأخيراً اشتراك البرجوازية (من الكاديت الى الاشتراكيين الثوريين اليمينيين ، من ميليوكوف الى كيرنسكي) اشتراكاً سافراً في فتنة كورنيلوف (٤١) .

لقد سمع كاوتسكي بفتنة كورنيلوف ، ولكنه يبصق بكل مهابة وجلال على الوقائع التاريخية ، وعلى سير وأشكال النضال التي تحدد **أشكال** الديكتاتورية : وفي الحقيقة ، ما شأن الوقائع هنا ، ما دام الحديث يتناول الديموقراطية «الخالصة» ؟ ولهذا السبب بالذات يمتاز «نقد» كاوتسكي لحرمان البرجوازية من الحقوق الانتخابية بـ . . . سذاجة معسولة قد تحمل على الرقة واللين لو أنها صدرت عن طفل ، ولكنها تثير الاشمئزاز والنفور لأنها تصدر عن انسان لم يثبت بعد رسمياً أنه معتوه .

«. . . لو أن الرأسماليين وجدوا أنفسهم أقلية تافهة في ظل نظام الانتخاب العام ، لكانوا رضخوا لمصيرهم بمزيد من السرعة» (ص ٣٣) . لطيف ، أليس كذلك ؟ ان الذكي كاوتسكي قد

رأى مراراً عديدةً في التاريخ – وهو ، بوجه عام ، يعرف جيداً جداً بملاحظاته للحياة الواقعية – أمثلـــة عن ملاكين عقاريين ورأسماليين يحترمون ارادة اغلبية المضطهَدين . والذكـــي كاوتسكي يتبنى بقوة وجهة نظر «المعارضة» ، أي وجهة نظر الصراع داخـــل البرلمان . هكذا حقاً وصدقـــاً كتب حرفياً : «المعارضة» (ص ٣٤ وكثير غيرها) .

فيا للعالم المؤرخ والسياسي ! ومع ذلك ينبغي لك أن تعرف أن «المعارضة» تفترض فكرة نضال سلمي ، وبرلماني فقط ، أي فكرة تناسب وضعاً غير ثوري ، فكرة تناسب **عدم وجود ثورة** . فأنت ، في الثورة ، تواجه عدوا لا يعرف رحمة ولا شفقة في الحرب الأهلية ، – وليس في مقدور أي نواح رجعي يصدر عن برجوازي صغير يخشى هذه الحرب ، كما يخشاها كاوتسكي ، أن يغير شيئاً في هذا الواقع . وأنت اذا رأيت من وجهة نظر «المعارضة» الى المعاضل الناجمة عن حرب أهلية لا هوادة فيها ، في وقت لا تتردد فيه البرجوازية عن ارتكاب أية جريمة ، – ومثال الفرساليين والصفقة التى عقدوها مع بيسمارك (٤٢) ينطويان على بعض العبرة لكل انسان يرى الى التاريخ على غير طريقة بتروشكا غوغول (٤٣) – وتستغيث فيه البرجوازية بالدول الأجنبية وتحيك الدسائس معها ضد الثورة ، – فانك آنذاك تثير الضحك . وآنذاك ، على غرار كاوتسكي «المستشار – المشوش كل شيء» يترتب على البروليتاريا الثورية أن تعتمر قبعة النوم وتعتبر البرجوازية التي تنظم انتفاضـــات الدوتوفيين والكراسنوفيين (٤٤) والتشيكيين (٤٥) ضد الثورة وتغدق الملايين على المخرّبين ، – تعتبرها «معارضة» شرعية . فما أعمق هذا التفكير !

ان كل ما يهم كاوتسكي ، انما هو الجانب الشكلي الحقوقي للمسألة ؛ ولذا ، فانك اذ تقرأ محاكماتـــه حول الدستور السوفييتي ، تذكـــر عفو الخاطر كلمات بيبل (٤٦) التاليـــة : الحقوقيون أناس من علاة الرجعيين . فقد كتب كاوتسكي يقول : «وفي الواقع ، لا يمكن حرمان الرأسماليين وحدهم من حقوقهم . فمن هو الرأسمالي بالمعنى الحقوقي ؟ مالك ؟ فحتى في بلد متقدم في طريق التطور الاقتصادي كما هي عليه ألمانيـــا ، حيث

البروليتاريا كثيرة التعداد ، يفضي قيام الجمهورية السوفييتية الى حرمان جماهير غفيرة من الحقوق السياسية . ففي عام ١٩٠٧ ، بلغ عدد الأشخاص العاملين في الفروع الضخمة الثلاثة : الزراعة والصناعة والتجارة ، في الامبراطورية الألمانية — بمن فيهم أفراد عائلاتهم ، — قرابة ٣٥ مليوناً من فئـــة المستخدمين والعمال الأجراء ، و١٧ مليوناً من فئة المستقلين . وبالتالي ، كان من الممكن تماماً أن يضم الحزب أغلبية العمال الأجراء ولا يكون مع ذلك سوى أقلية بين السكان» (ص ٣٣) .

هذا نموذج من محاكمات كاوتسكي . طيب ! أليست تلك مناحة من المناحات ضد الثورة خليقة ببرجوازي ؟ لماذا تصنف اذن جميع «المستقلين» بين المحرومين من الحقوق ، أيها السيد كاوتسكي ، في حين أنك تعلم علم اليقين أن الأغلبية الساحقة من الفلاحين الروس لا يستخدمون عمالاً أجراء ولا يحرمون بالتالي من الحقوق ؟ أليس هذا تزويراً ؟

لماذا لم تستشهد ، أيها العالم الاقتصادي ، بالمعطيات ، التي تعرفها جيداً ويقدمها الاحصاء الألماني نفسه لعام ١٩٠٧ ، عن العمل المأجور في الزراعة حسب فئات الاستثمارات ؟ لماذا لم تعرض على العمال الألمان ، قراء كراسك ، هذه المعطيات التي كانت بينت كم من **المستثمِرين** ، كم هو قليل عدد المستثمِرين الذين نجدهم بين «الملاكين الريفيين» حسب الاحصاء الألماني ؟

ذلك لأن ارتدادك جعل منك مجرد كذاب وواش في خدمـــة البرجوازية .

ان الرأسمالي ، على ما يبدو ، انما هو مفهوم حقوقي غامض ، واذا كاوتسكي يسحـــق في عدة صفحات «تعسف» الدستور السوفييتي . وهذا «العلامة الجدي» يسمح للبرجوازية الانجليزيـة طوال قرون بأن تضع وتصوغ دستوراً برجوازياً جديداً (جديداً بالنسبة للقرون الوسطى) ؛ ولكن هذا العلامة الذي يمثل علماً ذليلاً لا يمنحنا أية مهلة ، نحن عمال وفلاحي روسيا . بل يتطلب منا دستوراً نصوغه حتى آخر حرف وفاصلة منه في بضعـــة أشهر . . .

. . . «تعسف» ! فكروا قليلاً أية هاوية من الاستخذاء السافل القذر أمام البرجوازية ومن التحذلق الغليظ ولا أغلظ ،

تتجلى في **هذا** اللوم . فحين يقضي الحقوقيـــون في البلـــدان الرأسمالية ، البرجوازيون حتى رؤوس أصابعهـــم والرجعيون بمعظمهم ، قروناً أو عقوداً في صياغة أدق الأنظمة ، وفي كتابة العشرات والمئات من مجلدات القوانين والشروح التي **تضطهـــد** العامل ، وتبقي **الفقير** مقيد اليدين والرجلين ، وتواجه الشغيل البسيط ، ابن الشعب ، بألف مماحكة وعقبة ، – آه ، حينذاك لا يرى الليبيراليون البرجوازيون والسيد كاوتسكي أي «تعسف» هنا على الاطلاق ! فهنا يسود «النظام» و«القانون» ! هنا كل شيء كان موضع تفكير عميق وصياغة قانونية من أجل «عصر» الفقير الى النهاية وهنا آلاف المحامين والموظفين البرجوازيين (وعن هؤلاء ، بوجه عام ، لا ينبس كاوتسكي ببنت شفة ؛ وذلك ، كما يبدو ، للسبب التالي على وجه الضبط ، وهو أن ماركس علق أهمية هائلة على **تحطيم** الآلة البيروقراطية . . .) ، المحامين والموظفين يعرفون كيف يفسرون القوانين بصورة يستحيل معها تماماً على العامل والفلاح المتوسط أن يقطع حاجز الأسلاك الشائكة الذي ترفعه هذه القوانين . ليس هذا «تعسف» البرجوازية ، ليس هذا ديكتاتوريـــة المستثمرين الجشعين ، القذرين ، شاربي دماء الشعب . كلا أبداً . انما هذا هو «الديموقراطية الخالصة» التي تزداد خلاصاً يوماً بعد يوم .

وحين عمدت الطبقات الكادحة والمستثمَرة ، التي فصلتها الحرب الامبريالية عن اخواتها في الخارج ، وشكلت لأول مرة في التاريخ سوفييتاتها **الخاصة بها** ، ودعت الى البناء السياسي **تلك الجماهير التي** كانت تضطهدها البرجوازية وترهقها وتخبلها ، وشرعت تبني **بنفسها** دولة **جديدة** ، بروليتارية ؛ وحين بدأت في معمعان النضال المسعور وفي نار الحرب الأهلية **ترسم** الاحكام **الأساسية** لدولة **بلا مستثمِرين** ، شرع جميع أنذال البرجوازية ، وكل عصابة مصاصي الدماء ، مع مدّاحهم كاوتسكي ، يزعقون «بالتعسف» ! كيف تريدون ، حقاً ، أن يعرف هؤلاء الجهلة ، العمال والفلاحون ، أن يعرف هؤلاء «العامـــة» كيف يفسرون قوانينهم ؟ من أين تريدونهم أن يكسبوا شعور العدالة ، هؤلاء الشغيلـــة البسطاء ، الذين لا يأخذون بنصائـــح المحامين

المستنيرين ، والكتاب البرجوازيين ، والكاوتسكيين ، وشيوخ الموظفين المملوئين حكمة ؟

ومن خطابي الذي ألقيتــه في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩١٨ (٤٧) ، يورد السيد كاوتسكي هذه الجملة : «. . . ان الجماهير تحدد بنفسها أصول الانتخابات وموعدها . . .» و«كديموقراطي خالص» ، يخلص كاوتسكي الى القول :

«. . . يبدو اذن أن كل جماعة من الناخبين تقرر أصول الانتخابات كما يطيب لها . وعليـــه ، فان التعسف وامكان التخلص من العناصر المعارضة المزعجة ، في قلب البروليتاريا بالذات ، قد يبلغان الذروة» (ص ٣٧)

ما هذا اذن ان لم يكن ترهات مطية قلمية مأجورة يستخدمها الرأسماليون ، وتطلق الصرخات الداوية ، لدن أي اضراب ، ضد العنف يمارسه الجمهور على العمال الصالحين الذين «يرغبون في العمل» ؟ لماذا لا تكون أصول الانتخاب التي يقرها الموظفون **البرجوازيون** في الديموقراطية البرجوازية «الخالصة» طريقـــة تعسفية ؟ لماذا ينبغي أن يكون شعور العدالة **عند الجماهير التي هبت الى النضال** ضد مستثمِريها المزمنين ، عند الجماهير التي تستنير ويتصلب عودها في معمعان هذا النضال الضاري ، أقل مما عند **حفنات** من الموظفين والمثقفين والمحامين الذين تربوا بروح الأوهام **البرجوازية** ؟

ان كاوتسكي لاشتراكي حقيقي ؛ فلا تضعوا موضع الشك حسن نية رب العائلـــة الموقر هذا ، هذا المواطن الشريف ولا أشرف . انه نصير لانتصار العمال ، لانتصار الثورة البروليتارية ، نصير متأجج الحماسة وثابت الاقتناع . الا أنه يود لو أن المثقفين البرجوازيين الصغار المعسولين والتافهين الضيقـــي الأفـــق ، المعتمرين بعمرة النوم ، يضعون أولا — **قبل** تحرك الجماهير ، **قبل** نشوب نضالها الضاري ضد المستثمِرين ، ولا سيما **دون حرب** أهلية — ، أنظمة معتدلة ، مرتبـــة بعنايـــة ، **لتطور الثورة** . . .

وبعميق الاستياء الأخلاقي يروي عالمنا العلامة يهوذا الصغير غولوفليف (٤٨) على مسامع العمال الألمان أن اللجنة التنفيذية

المركزية للسوفييتات في عامة روسيا قد قررت ، في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٨ ، فصل ممثلي الحزبين الاشتراكي-الثوري اليميني والمنشفي من السوفييتـــات . فقد كتب يهوذا الصغير كاوتسكي مشتعلاً بغضب نبيل : «ان هذا التدبير ليس موجهاً ضد بعض الأشخاص الذين اقترفوا بعض الأعمال المعاقب عليها . . . ان دستور الجمهورية السوفييتية لا يشير بكلمة الى حصانة النواب أعضاء السوفييتات . وعليه فان المفصولين عن السوفييتات ليسوا ، في هذه الحالة ، بعض **الأشخاص** ، بل بعض **الأحزاب**» (ص ٣٧) .

أجل ، هذا رهيب بالفعل ، هذا ابتعاد لا يطاق ، ابتعاد عن الديموقراطية الخالصة التي يريد صاحبنا الثوري يهوذا الصغير كاوتسكي أن يصنع الثورة بموجب قواعدها . ونحن ، البلاشفة الروس ، كان علينا أن نعد أولا بتأمين الحصانـــة لاضراب سافينكوف وشركاهـــم ، وأمثال ليبردان (٤٩) وبوتريسوف («للنشيطين» (٥٠)) وشركاهم ونسن فيما بعد قانوناً جزائيـــاً «يعاقب» كل من يشترك في حرب التشيكوسلوفاكيين ضد الثورة ، أو يتحالف في أوكرانيا أو في جورجيا مع الامبرياليين الألمان **ضد** عمال بلاده ، **حينذاك فقط** ، كان من حقنا ، بموجب هذا القانون الجزائي ، وطبقاً لروح «الديموقراطية الخالصة» ، أن نفصل «بعض الأشخاص» من السوفييتـــات . وغني عـــن البيـــان أن التشيكوسلوفاكيين الذين يتلقـــون الأموال مـــن الرأسماليين الانجلو – فرنسيين بوساطة اضراب سافينكوف وبوتريسوف (٥١) وليبردان (أو بوساطة دعايتهم) ، وكذلك الكراسنوفيين الذين يملكون القنابل الألمانية بمساعدة مناشفة أوكرانيـــا وتفليس ، كانوا انتظروا بكل هدوء أن ننتهي من وضع قانون جزائي صحيح ، كانوا اكتفوا ، مثل أخلص الديموقراطيين ، بدور «المعارضة» . . .

وكاوتسكي ليس أقل استياء أخلاقياً أيضـــاً لأن الدستور السوفييتي يحرم من الحقوق الانتخابية أولئك الذين «يستخدمون العمال الأجراء لابتزاز ربح منهم» . وقد كتب كاوتسكي يقول : «من الممكن أن تكون لشغيل في بيته أو لصاحب عمل صغير يستخدم صانعاً معاوناً واحداً ، حياة البروليتاريين الحقيقيين

ومشاعرهم ، ومع ذلك فهو محروم من الحقوق الانتخابية» (ص ٣٦) .

فأي ابتعاد عن «الديموقراطية الخالصة» ! وأي ظلم ! صحيح أن جميع الماركسيين كانوا يعتبرون حتى الآن ، وان آلاف الوقائع تثبت ، أن أصحاب العمل الصغار هم أكثر مستثمري العمال الأجراء وقاحة وبخلا ؛ ولكن يهوذا الصغير كاوتسكي يتحدث ، بالطبع ، لا عن **طبقة** أصحاب العمل الصغار (ومن ذا الذي اخترع نظرية النضال الطبقي الضارة ؟) ، بل عن أفراد ، عن مستثمرين «حياتهم ومشاعرهم حياة ومشاعر البروليتاريين الحقيقيين» . ان «أغنيس المقتصدة» الشهيرة ، التي كان يظن أنها ماتت منذ زمن بعيد ، تبعث حية بقلم كاوتسكي . فان أغنيس المقتصدة هذه انما خلقها وروّج بها في الأدب الألماني منذ بضعة عقود ، الديموقراطي «الخالص» ، البرجوازي أوجين ريختر . وقد كان يتنبأ بالمصائب التي لا توصف والتي لا بدّ أن تحملها ديكتاتورية البروليتاريا ومصادرة رأسمال المستثمرين ؛ ويسأل ، متظاهراً بالسذاجة والبراءة ، من هو الرأسمالي بالمعنى الحقوقي . وكان يورد مثال خياطة فقيرة ومقتصدة («أغنيس المقتصدة») يسلبها «ديكتاتوريو البروليتاريا» الملاعين دراهمها الأخيرة . ولقد كان زمن تلهت فيه الاشتراكية الديموقراطية الألمانية كلها بأقصوصة «أغنيس المقتصدة» هذه التي لفقها الديموقراطي الخالص أوجين ريختر . ولكن هذا يعود الى زمن بعيد ، الى ذلك الزمن الغابر ، يوم كان بيبل لا يزال على قيد الحياة ويقول الحقيقة بصراحة وجلاء وهي أن الوطنيين الليبيراليين (٥٢) كانوا عديدين في الحزب الألماني . هذا يعود الى ذلك الزمن الغابر ، يوم لم يكن كاوتسكي بعد مرتداً .

واليوم ، تبعث «أغنيس المقتصدة» حية بشخص «صاحب العمل الصغير الذي يستخدم صانعاً واحداً والذي حياته ومشاعره هي حياة ومشاعر البروليتاريين الحقيقيين» . والبلاشفة الأشرار يظلمونه ، ويحرمونه من الحقوق الانتخابية . صحيح أن «كل جماعة انتخابية» تستطيع في الجمهورية السوفييتية ، كما قال كاوتسكي نفسه ، أن تقبل حرفياً فقيراً مرتبطاً مثلاً بمصنع معين اذا لم يكن ، على سبيل الاستثناء ، مستثمراً ، اذا كانت «حياته

ومشاعره» **حقاً** «حياة ومشاعر البروليتاري الحقيقي» . ولكن ، هل يمكن الثقة بمعرفة الحياة ، بشعور العدالة ، عند جمعية من العمال البسطاء في المصنع ، سيئة التنظيم وتعمل (يا للفظاعة !) بدون أنظمة داخلية ؟ أليس واضحاً أنه من الأفضل منح الحقوق الانتخابية **لجميع** المستثمِرين ، **لجميع** الذين يستخدمون عمالاً أجراء ، بدلاً من التعرض لخطر اقدام العمال على الاساءة «لأغنيس المقتصدة» و«الحرفي الصغير الذي حياته ومشاعره هي حياة ومشاعر البروليتاري الحقيقي» ؟

* * *

في مستطاع المرتدين الحقيرين الأنذال أن يرذلوا دستورنا السوفييتي ، على تصفيق البرجوازية والاشتراكيين الشوفينيين * ، لأنه يحرم المستثمِرين من الحقوق الانتخابية . وهذا حسن جداً ، لأن القطيعة لن تكون الا أسرع وأعمق بين العمال الثوريين الأوروبيين وبين من هم على شاكلة شيدمان وكاوتسكي ، ورينوديل ولونغه ، وهندرسون ، ورمسي ماكدونالد ، والزعماء القدماء والخونة القدماء للاشتراكية .

أما جماهير الطبقات المظلومة ، والزعماء الواعون والشرفاء من البروليتاريين الثوريين ، فانهم سيكونون **معنا** . حسبنا أن نطلع هؤلاء البروليتاريين وهذه المجاهير على دستورنا السوفييتي حتى يقولوا فوراً : ها هم حقاً **رجالنا لنا** ، ها هو حزب العمال الحقيقي ، حكومة العمال الحقيقية ، لأنها لا تخدع العمال بثرثرات عن الاصلاحات ، **كما فعل جميع الزعماء المذكورين آنفا** ؛ بل تكافح المستثمِرين بجدّ ، وبجد تحقق الثورة ، وتناضل **فعلاً** في سبيل تحرير العمال تحريراً تاماً .

---

* قرأت للتو المقال الافتتاحي في «فرانكفورتر زايتونغ» (٢٢ تشرين الاول – اكتوبر – ١٩١٨ – العدد ٢٩٣) ، الذي يعلق على كراس كاوتسكي بحماسة . ان جريدة اصحاب البورصة في جذل وطرب . وكيف لا ! وقد كتب لي رفيق من برلين ان «فورفارتس» ، جريدة شيدمان وامثاله قد اعلنت ، في مقال خاص ، انها تضع توقيعها تحت كل سطر تقريبا مما كتبه كاوتسكي . فكل تهانينا !

واذا كانت السوفييتات ، بعد سنة من «التجربة» مرت بها ، قد حرمت المستثمِرين من الحقوق الانتخابية ، فهذا **يعني** أن هذه السوفييتات هي فعلاً منظمات الجماهير المظلومة ، لا منظّمات الاشتراكيين الامبرياليين والاشتراكيين المسالمين المباعين للبرجوازية . واذا كانت هذه السوفييتات قد حرمت المستثمِرين من الحقوق الانتخابية ، فهذا **يعني** أنها ليست هيئات للتوافق البرجوازي الصغير مع الرأسماليين ، ولا هيئات للثرثرة البرلمانية (لكاوتسكي ولونغه وماكدونالد ومن لف لفهم) ، بل هيئات للبروليتاريا الثورية حقاً ، التي تخوض النضال المستميت ضد المستثمِرين .

«ان كتاب كاوتسكي يكاد يكون مجهولاً هنا» — هكذا كتب لي مؤخراً (نحن الآن في ٣٠ تشرين الأول — أكتوبر) من برلين . رفيق واسع الاطلاع . واني لأنصح سفيرينا في ألمانيا وسويسرا أن ينفقا **الألوف** لشراء هذا الكتاب **وتوزيعه مجانا** على العمال الواعين ، لكي يقذفوا الى الوحل بهذه الاشتراكية‑الديموقراطية «الأوروبية» — اقرأ : الامبريالية والاصلاحية — التي لم تبق منذ زمن بعيد سوى «جيفة نتنة» .

* * *

وفي آخر كتابه ، في الصفحتين ٦١ و٦٣ ، يتباكى السيد كاوتسكي ويأسف بمرارة أن «تجد النظرية الجديدة» (هكذا يسمي البلشفية ، خائفاً أن يتناول تحليل ماركس وانجلس لكومونة باريس) «أنصاراً حتى في الديموقراطية العريقة ، كسويسرا مثلاً» . ومن «غير المفهوم» ، بنظر كاوتسكي ، «أن يقبل اشتراكيون‑ديموقراطيون ألمان بهذه النظرية» .

ولكن هذا ، بالعكس ، أمر مفهوم تماماً ، لأن الجماهير الثورية شرعت بعد الدروس الجدية التي تلقتها من الحرب ، تشعر بالاشمئزاز والنفور من الشيدمانيين والكاوتسكيين على السواء .

«نحن» كنا دائماً نؤيد الديموقراطية — هكذا يكتب كاوتسكي — وهل نحن الذين نتخلى عنها من تلقاء أنفسنا !

«نحن» ، انتهازيي الاشتراكية‑الديموقراطية ، كنا دائماً ضد ديكتاتورية البروليتاريا ؛ وهذا ما قاله علناً كولب وأمثاله

وشركاه **منذ زمن بعيد** . وكاوتسكي يعرف هذا ، وعبثاً يعتقد أن في مقدوره أن يخفي عن قرائه هذا الواقع الجلي ، واقع «عودته الى أحضان» اضراب برنشتين وكولب (٥٣) .

«نحن» ، الماركسيين الثوريين ، لم نجعل يوماً من الديموقراطية «الخالصة» (البرجوازية) صنماً للعبادة . فان بليخانوف ، كما هو معلوم ، كان في عام ١٩٠٣ ماركسياً ثورياً (قبل انعطافه المشؤوم الذي جعل منه شيدمانا روسيا) . وفي مؤتمر الحزب الذي أقر البرنامج ، قال بليخانوف ان البروليتاريا ستعمد في الثورة ، عند الاقتضاء ، الى حرمان الرأسماليين من الحقوق الانتخابية ، **وتحل** البرلمان ، **كل برلمان** اذا تبين أنه مناهض للثورة . وأن تكون هذه النظرة النظرة الوحيدة التي تنطبق على الماركسية ، فهذا ما سيدركه كل امرىء من بيانات ماركس وانجلس التي أوردتها ، على الأقل . وهذا ما يظهر بوضوح من جميع أسس الماركسية .

«نحن» ، الماركسيين الثوريين ، لم نلق على الشعب خطابات كالتي كان يحب أن يلقيها الكاوتسكيون على اختلاف أممهم الذين ينبطحون على بطونهم أمام البرجوازية ، ويتكيفون للبرلمانية البرجوازية ، ويلزمون الصمت حول طابع الديموقراطية العصرية **البرجوازي** ويكتفون فقط بالمطالبة **بتوسيعها** ، بتحقيقها الى النهاية .

«نحن» قلنا للبرجوازية : أنتم ، أيها المستثمرون والمنافقون ، أنتم تتحدثون عن الديموقراطية ، بينا تقيمون لدى كل خطوة آلاف العراقيل لمنع **الجماهير المضطهَدة** من الاشتراك في السياسة . ومن أفواهكم ندينكم ، ونطالبكم ، **بغية تحضير الجماهير للثورة** ، من أجل اسقاطكم ، أيها المستثمِرون ، نطالبكم ، في مصلحة هذه الجماهير ، بتوسيع ديموقراطيتكم البرجوازية . واذا حاولتم أنتم ، أيها المستثمِرون ، أن تقاوموا ثورتنا البروليتارية ، قمعناكم بلا رحمة ولا شفقة ، وحرمناكم من حقوقكم ؛ ناهيك عن اننا سنمنع عنكم الخبز ، لأن المستثمِرين لن يتمتعوا بأية حقوق في جمهوريتنا البروليتارية ، وسيُحرمون النار والماء ، لأننا نحن اشتراكيون بالجد ، لا اشتراكيون على طريقة شيدمان وكاوتسكي .

تلك هي اللغة التي تكلمنا بها وسنتكلـــم بها «نحن» ، الماركسيين الثوريين ؛ ولهذا ستقف الجماهير المضطهَدة الى جانبنا ومعنا ، بينا يرمى الشيدمانيون والكاوتسكيون الى مزبلة المرتدين .

ما هي الاممية ؟

يعتقد كاوتسكي ويعلن ، بأعظم الاقتناع ، أنه أممي . وهو ينعت الشيدمانيين بأنهم «اشتراكيون حكوميون» . ان كاوتسكي ، اذ يدافع عن المناشفة (ويطبق أفكارهم كلياً دون أن يعترف جهاراً وعلنا بتضامنه معهم) ، قد بيّن بصورة أخّاذة ما تعنيـــه «أمميته» . وبما أن كاوتسكي ليس فرداً منفرداً ، بل ممثل تيار (٥٤) كان لا بد له أن يظهر حتماً في جو الأممية الثانية (لونغه في فرنسا ، توراتي في ايطاليا ، نوبس وغريم ، غرابر ونين في سويسرا ، رمسي ماكدونالد في انجلترا ، الخ .) ، فمن المفيد أن نتناول بالبحث «أممية» كاوتسكي .

يؤكد كاوتسكي أن المناشفة كانوا هم أيضاً في زيميرفالد (هذه شهادة ، بالطبع ، ولكنها . . . شهـادة تعفنت نوعاً ما) ، فيعرض أفكارهم على النحو التالي ، مع العلم أنه يشاطرها :

«. . . كان المناشفة يريدون السلام الشامل ، وكانوا يريدون أن يتبنى جميع المتحاربين شعار : لا الحاقات ولا غرامات . وطالما لا يتم بلوغ هذا الهدف ، فانه يتعين على الجيش الروسي أن يكون على استعداد قتالي . أمـــا البلاشفة ، فقد كانوا يطالبون بالسلام الفوري بأي ثمن كان ؛ ، وكانوا على استعداد لعقد صلح منفرد ، عند الاقتضاء ، ويبذلون جهدهم لانتزاع هذا الصلح بالقوة فيشددون اختلال النظام في الجيش فوق ما هو عليه من اختلال كبير» (ص ٢٧) . وباعتقاد كاوتسكي انه كان على البلاشفة أن لا يأخذوا الحكم ، بل أن يكتفوا بالجمعية التأسيسية .

وهكذا تتقوم اذن أممية كاوتسكي والمناشفة فيما يلي : مطالبة الحكومة البرجوازية الامبريالية بالاصلاحات ، ولكن مع الاستمرار في دعمها ، مع الاستمرار في دعم الحرب التي تخوضها هذه الحكومة الى أن يتبنى جميع المتحاربين شعار : لا الحاقات ولا

غرامات . هذه الفكرة أفصح عنها توراتي والكاوتسكيون (هآزه وغيره) ولونغه وشركاه ، مراراً عديدةً ، حين أعلنوا أنهم **يؤيدون** «الدفاع عن الوطن» .

وهذا يعني من الناحية النظرية أنهم عاجزون تماماً عن الانفصال عن الاشتراكيين الشوفينيين وأنهم غارقون فى تشوش مطلق فيما يخص قضية الدفاع عن الوطن ؛ كما يعني من الناحية السياسية أنهم يستعيضون عن الأممية بالقومية البرجوازية الصغيرة ، وينتقلون الى جانب الاصلاحية ، ويتخلون عن الثورة .

ان الاقرار «بالدفاع عن الوطن» ، يعني ، من وجهة نظر البروليتاريا ، تبرير الحرب الحالية ، الاعتراف بشرعيتها . وبما أن الحرب تبقى حرباً امبرياليةً (سواء في ظل الملكية أم في ظل الجمهورية) بصرف النظر عن الأرض التي تتمركز فيها قوات العدو في فترة معينة ، — في بلادي أو في بلد أجنبي ، — فان الاقرار بالدفاع عن الوطن يعني **بالفعل** دعم البرجوازية الامبريالية السلابة ، وخيانة الاشتراكية خيانةً تامةً . ففي روسيا ، ظلت الحرب امبريالية ، حتى في عهد كيرنسكي ، في عهد الجمهورية البرجوازية الديموقراطية ، اذ أن البرجوازية بوصفها الطبقة السائدة ، هي التي كانت تخوضها (والحال ، ان الحرب ليست سوى «استمرار للسياسة») ؛ ولقد وجد طابع الحرب الامبريالي تعبيراً صارخاً عنه في المعاهدات السرية التي عقدها القيصر السابق مع رأسماليي انجلترا وفرنسا حول اقتسام العالم ونهب البلدان الأجنبية .

لقد كان المناشفة يخدعون الشعب بسفالة حين كانوا يظهرون هذه الحرب على أنها حرب دفاعية أو ثورية ، وكاوتسكي ، اذ يؤيد سياسة المناشفة ، يؤيد بالتالي هذا التضليل للشعب ، يؤيد دور البرجوازيين الصغار الذين كانوا يخدمون الرأسمال بتضليل العمال ، بربطهم الى عجلة الامبرياليين . ان كاوتسكي ينتهج سياسة برجوازية صغيرة نموذجية ، تافهة ضيقة الأفق ، حين يتصور (ويبعث في الجماهير هذه الفكرة الخرقاء) **ان اعلان شعار ما** يغير شيئاً في القضية . ان تاريخ الديموقراطية البرجوازية كله يفضح هذا الوهم ويدحضه . فان الديموقراطيين البرجوازيين ، سعياً منهم لخداع الشعب ، قد صاغوا على الدوام

ويصوغون على الدوام جميع «الشعارات» من كل شاكلة ولون ، فالمهم **التثبت** من صدقهم واخلاصهم ، ومقارنة **الأفعال** بالأقوال ، وعدم الاكتفاء **بالتعابير والألفاظ** المثالية أو البهلوانية ، بـــل البحث عن **الواقع الطبقي** . ان الحرب الامبريالية لا تكف عن أن تكون حرباً امبريالية ً حين أطلـــق الدجالون أو منمقو الألفاظ والجمل أو البرجوازيون الصغار التافهون الضيقو الأفق «شعاراً» معسولاً ً بل تكف عن أن تكون حرباً امبريالية ً فقط يوم **تُسقَط** فعلاً ً **الطبقة** التي تخوض هذه الحرب الامبريالية والتي ترتبط بها بملايين الخيوط (ان لم يكن الأسلاك الضخمة) الاقتصادية ، وتحل محلها في الحكم الطبقة الثوريـــة حقاً ، البروليتاريا . **وليس ثمة وسيلة أخرى للخلاص من الحرب الامبريالية ، وكذلك للخلاص من صلح لصوصي امبريالي .**

ان كاوتسكي ، اذ يؤيد سياسة المناشفة الخارجية ويقول عنها انها أممية وزيميرفالدية ، انما يبين ، أولا ، كل فساد الأغلبية الزيميرفالدية ، الانتهازية (وليس عبثاً أننا نحن ، الجناح **اليساري** الزيميرفالدي (٥٥) ، قد انفصلنا فوراً عن مثل هذه الأغلبية !) ؛ ثانياً ، وهو الأمر الرئيسي ، ينتقل كاوتسكي من موقف البروليتاريا الى موقف البرجوازية الصغيرة ، من الموقف الثوري الى الموقف الاصلاحي .

ان البروليتاريا تناضل من أجل اسقاط البرجوازية الامبريالية عن طريق الثورة ؛ بينما تناضل البرجوازية الصغيرة من أجـــل «اتقان» الامبريالية عن طريق الاصلاح ، من أجل التكيف عليها **والخضوع** لها . ويوم كان كاوتسكي لا يزال ماركسياً ، في ١٩٠٩ مثلاً ً ، حين كتب «الطريق نحو الحكم» ، دعم بالضبط الفكرة القائلة ان الحرب تجعل **الثورة** أمراً محتماً لا مناص منه ؛ وقد قال ان **عهد الثورات** يقترب . ان بيان بال ، الصادر عام ١٩١٢ ، يتحدث صراحة ً وبكل وضوح عن نشوب **الثورة البروليتارية** مـــن جراء الحرب الامبرياليـــة التي انفجرت ، فعلاً ً ، في عام ١٩١٤ بين الكتلتين الألمانية والانجليزية . والحال ، في عام ١٩١٨ ، حين بدأت الثورات من جراء الحرب ، راح كاوتسكي ينعت بالأممية تكتيك المناشفة الاصلاحي ، بدلاً ً من أن يفسر ويوضح حتمية هذه الثورات ، بدلاً ً من أن يدرس ويتعمق في بحث التكتيـــك

الثوري ووسائل وطرق التحضير للثورة . فما معنى هذا ان لم يكن الارتداد ؟

ان كاوتسكي يمدح المناشفة لأنهم أصروا على احتفاظ الجيش بالاستعداد القتالي . ويلوم البلاشفة لأنهم شددوا من «اختلال النظام في الجيش» فوق ما هو عليه من اختلال كبير . وهذا يعني أنه يمدح الاصلاحية والخضوع للبرجوازية الامبريالية ، ويلوم الثورة ويرتد عنها . لأن الاحتفاظ بالاستعداد القتالي كان يعني وكان فعلاً ، في عهد كيرنسكي ، الاحتفاظ بالجيش مع قيادة برجوازية (وان تكن جمهورية) . ويعرف الجميع ، — وأثبت مجرى الأحداث بكل جلاء ، — أن هذا الجيش الجمهوري قد احتفظ بالروح الكورنيلوفية بفضل ملاكاته القيادية الكورنيلوفية . فلم يكن من الممكن أن لا يكون الضباط البرجوازيون كورنيلوفيين ، لم يكن من الممكن أن لا يميلوا الى الامبريالية ، الى قمع البروليتاريا بالعنف . وهكذا اقتصر التكتيك المنشفي فعلاً على ابقاء جميع أسس الحرب الامبريالية ، جميع أسس الديكتاتورية البرجوازية كما في السابق ، وعلى تعديل التفاصيل ، على تمويه التوافه («الاصلاحات») .

وبالعكس ، ليس ثمة ثورة كبيرة استغنت ويمكنها أن تستغنى عن «اختلال النظام» في الجيش . لأن الجيش هو أشد الأدوات التي تدعم النظام السابق تحجراً ، وأمنع حصن يؤمن الطاعة البرجوازية وسيطرة الرأسمال ، ويحفظ ويربي ذل الشغيلة للرأسمال وخضوعهم له . الثورة المضادة لم تقبل قط ، ولم يكن في وسعها أن تقبل بوجود العمال المسلحين الى جانب الجيش . ففي فرنسا ، — كما كتب انجلس ، — كان العمال مسلحين بعد كل ثورة ؛ «ولذلك كان تجريد العمال من السلاح هو أول المقتضيات بالنسبة للبرجوازيين المتربعين على دست الحكم» (٥٦) . لقد كان العمال المسلحون جنين الجيش **الجديد** ، خلية النظام الاجتماعي **الجديد** التنظيمية . وكانت وصية البرجوازية الأولى سحق هذه الخلية ، منع نموها . أما أول وصية عند كل ثورة مظفرة ، — كما أشار ماركس وانجلس مراراً عديدةً الى ذلك ، — فقد كانت تحطيم الجيش القديم ، وتسريحه ، والاستعاضة عنه بجيش جديد (٥٧) . ان الطبقة الاجتماعية

الجديدة التي ترتقي سدة الحكم لم تستطع قط ولا تستطيع الآن ان تصل الى الحكم وتوطده الا بتفسيخ الجيش السابق تفسيخاً كلياً («اختلال النظام» ، يهتف بهذا الصدد التافهون الضيقو الأفق من الرجعيين أو من الجبناء الصرف) ؛ الا بقضاء مرحلة قاسية ومؤلمة دون أي جيش (وهذه المرحلة المؤلمة عرفتها الثورة الفرنسية الكبرى أيضاً) ؛ الا بتكوين جيش جديد ، طاعة جديدة ، منظمة عسكرية جديدة للطبقة الجديدة ، شيئاً فشيئاً ، في غمار حرب أهلية شاقة . وهذا ما كان يدركه كاوتسكي المؤرخ فيما مضى ، وما نسيه كاوتسكي المرتد .

بأي حق ينعت كاوتسكي الشيدمانيين بأنهم «اشتراكيون حكوميون» ، اذا كان يؤيد تكتيك المناشفة في الثورة الروسية ؟ فالمناشفة الذين أيدوا كيرنسكي واشتركوا في وزارته ، كانوا أيضاً اشتراكيين حكوميين . وانه سيكون من المتعذر اطلاقاً على كاوتسكي أن يتهرب من هذا الاستنتاج ، لو حاول فقط أن يطرح قضية **الطبقة السائدة** التي تشن الحرب الامبريالية . ولكن كاوتسكي يتجنب طرح قضية الطبقة السائدة ، هذه القضية التي تفرض نفسها على كل ماركسي ؛ لأن مجرد طرح هذه القضية يكفي لكشف القناع عن وجه هذا المرتد .

ان الكاوتسكيين في ألمانيا ، وأتباع لونغه في فرنسا وتوراتي وشركاه في ايطاليا يحاكمون كما يلي : الاشتراكية تفترض حرية الأمم والمساواة فيما بينها وحقها في تقرير مصيرها ؛ **وبالتالي** ، حين تتعرض بلادنا للهجوم أو حين تجتاح قوات العدو أرضنا ، كان من حق الاشتراكيين وواجبهم الدفاع عن الوطن . ولكن هذه المحاكمة هي ، من الناحية النظرية ، أما اهانة صارخة للاشتراكية واما عملية غش وتزوير ؛ وتتفق هذه المحاكمة ، من الناحية السياسية والعملية ، مع محاكمة رجل بسيط ، وجاهل اطلاقاً ، وعاجز حتى عن التفكير في طابع الحرب الاجتماعي ، في طابع الحرب الطبقي ، وفي مهمات الحزب الثوري في حرب رجعية .

ان الاشتراكية تعارض استخدام العنف ضد الأمم . وهذا أمر لا مراء فيه . ولكن الاشتراكية تعارض بوجه عام استخدام العنف ضد الأفراد . ومع ذلك لم يستخلص أحد بعد من هذا ، باستثناء

الفوضويين المسيحيين والتولستويين ، ان الاشتراكيــة تعارض العنف **الثوري** . ولذا ، فان من يتحدث عن «العنف» بوجه عام ، دون أن يرى بوضوح الى الأحوال والشروط التي تميز بين العنف الرجعي والعنف الثوري ، انما يعطي الدليل على أنه تافه ضيق الأفق يتخلى عن الثورة ، أو انه ، بكل بساطة ، يخدع نفســه ويخدع الآخرين بالسفسطات .

كذلك هي الحال فيما يخص استخدام العنف ضد الأمم . فكل حرب تقوم في استخدام العنف ضد الأمم ، ولكن هذا لا يمنع الاشتراكيين من أن يكونوا **أنصار** الحرب الثورية . ما هو طابع الحرب الطبقي ؟ ذلك هو السؤال الأساسي الذي يواجه كــل اشتراكي (اذا لم يكن مرتداً) . ان الحرب الامبريالية في ١٩١٤-١٩١٨ حرب بين كتلتين من البرجوازية الامبريالية من أجل تقاسم العالم ، من أجل تقاسم الغنيمة ، من أجل سلب الأمم الصغيرة والضعيفة وخنقها . هذا هو التقدير الذي أعطاه عن الحرب بيان بال الصادر عام ١٩١٢ ، والذي أكدت الأحداث صحته . وكل من يتخلى عن وجهة النظر هذه الى الحرب ، ليس اشتراكياً .

حين يقول ألماني في عهــد غليوم أو فرنسي في عهــد كليمانسو : من حقي وواجبي ، كاشتراكي ، أن أدافع عن الوطن اذا اجتاح العدو بلادي ، — فليست تلك محاكمــة اشتراكي ، أممي ، بروليتاري ثوري ، انما هي محاكمــة **قومي برجوازي صغير** . اذ أن في هذه المحاكمة يختفي النضال الطبقي الثوري الذي يخوضه العامل ضد الرأسمال ، يختفي تقدير الحرب **كلها** بمجملها ، من وجهة نظر البرجوازية العالميــة والبروليتاريـــا العالمية ، أي أن الأممية تختفي ولا يبقى غير قومية حقيرة ، يرثى لها . يسيئون الى بلادي ، والباقي لا يهمني : هذا ما تنحصر فيه هذه المحكمة ، وهذا ما يسمها بضيق الأفق القومي البرجوازي الصغير . فكأنك ، أمام استخدام العنف الفردي ضد شخص ما ، تتفضل بهذه المحاكمة : بما أن الاشتراكية تعارض العنف ، فاني أفضل أن أقترف خيانة ونذالة من أن أتعرض لدخول السجن .

ان الفرنسي أو الألماني أو الايطالي الذي يقول : الاشتراكية تعارض استخدام العنف ضد الأمم **ولهذا السبب** أدافع عن نفسي حين يجتاح العدو بلادي ، — انما **يخون** الاشتراكية والأممية .

لأن هذا الانسان يرى «بلاد«ه» **فقط** ، يضع . . . **برجوازيته** فوق الجميع ، دون أن يفكر **في الصلات العالمية** التي تجعل من الحرب حرباً امبريالية ، تجعل من برجوازيته **هو** حلقة في سلسلة أعمال السرقة والنهب الامبريالية .

ان جميع التافهين الضيقي الأفق ، جميع البسطاء البلهاء والجهلاء يحاكمون تماماً كما يحاكم المرتدون الكاوتسكيون ، واللونغيتيون ، وتوراتي وشركاه ، أي على النحو التالي : العدو في بلادي ، والباقي لا يهمني * .

أما الاشتراكي ، البروليتاري الثوري ، الأممي ، فانه يحاكم على نحو آخر : ان طابع الحرب (الرجعي أو الثوري) لا يتوقف على معرفة من ذا الذي هاجم وأية بلاد هي مقرّ «العدو» ، بل **على ما يلي : أية طبقة** تشن هذه الحرب ، ما هي **السياسة التي** الحرب استمرار لها ؟ اذا كانت الحرب المعنية حرباً امبرياليةً رجعيةً ، أي اذا كانت تشنها كتلتان عالميتان للبرجوازية الرجعية الامبريالية الظالمة ، السلابة ، فكل برجوازية (حتى برجوازية بلد صغير) تصبح شريكة في هذا النهب والسلب ، وواجبي ، واجبي كممثل للبروليتاريا الثورية ، تحضير **الثورة البروليتارية العالمية** ، بوصفها الوسيلة **الوحيدة** للخلاص من ويلات المجزرة العالمية . فليس من وجهة نظر بلاد«ي» يتعين عليّ أن أحاكم (اذ أن هذه المحاكمة تغدو أشبه بمحاكمة رجل بليد وحقير ، محاكمة قومي تافه ضيق الأفق ، لا يدرك أنه لعبة في أيدي البرجوازية الامبريالية) ، بل من وجهة نظر **اشتراكي أنا** في تحضير الثورة البروليتارية العالمية ، في الدعاوة لها ، في تقريبها .

* ان الاشتراكيين-الشوفينيين (اضراب شيدمان ورينوديل وهندرسون وغومبرس وشركاهم) يرفضون جميع الاقوال عن «الاممية» ثناء الحرب . وهم يعتبرون اعداء برجوازيت«هم» «خونة» . . . للاشتراكية . وهم **يؤيدون** سياسة الفتح التي تسير عليها برجوازيتهم . اما الاشتراكيون-المسالمون (اى الاشتراكيون قولا ، المسالمون التافهون الضيقو الافق فعلا) ، فهم يعربون عن شتى المشاعر «الاممية» ، ويعارضون الالحاقات ، الخ . . ولكنهم يواصلون **فعلا دعم** برجوازيتهم الامبريالية . والفرق بين هذين النموذجين طفيف لا يؤبه له كالفرق بين راسمالي عنيف الكلام ورأسمالي معسول الحديث .

هذه هي الروح الأممية ، هذا هو واجب الأممي ، واجب العامل الثوري ، واجب الاشتراكي الحقيقي . هذه هي الألفباء التي «نسيها» المرتد كاوتسكي . ولكن ارتداده يبدو بمزيد من الوضوح عندما ينتقل من تأييد تكتيك القوميين البرجوازيين الصغار (المناشفة في روسيا ، اللونغيتيين في فرنسا ، توراتي في ايطاليا ، هآزه وشركاه في ألمانيا) ، الى انتقاد التكتيك البلشفي . واليكم هذا الانتقاد :

ولقد بنيت الثورة البلشفية على فرضية انها ستكون نقطة انطلاق ثورة اوروبية عامة ، وان مبادرة روسيا الجريئة ستحفز البروليتاريين في اوروبا كلها على الانتفاض .

وفي هذه الحال ، قلما كان يهم بالطبع اية اشكال سيرتدى الصلح الروسي المنفرد ، واية تشويهات واية صعوبات وخسائر فى الاراضي (حرفيا : تشويهات ، Verstümmelungen) سيفرضها على الشعب الروسي ، واى تاويل سيقدمه لحق الامم في تقرير مصيرها . كذلك قلما كان يهم معرفة ما اذا كانت روسيا قادرة انذاك على الدفاع عن نفسها ام لا . ومن وجهة النظر هذه ، كانت الثورة الاوروبية تشكل خير دفاع عن الثورة الروسية ؛ وكان لا بد لها ان تؤمن لجميع الشعوب القاطنة في الارض الروسية السابقة الحق الكامل ، الفعلي ، في تقرير مصيرها .

ان ثورة تنشب في اوروبا وتحمل لها الاشتراكية وتوطدها فيها ، كان لا بد لها ايضا ان تسهم في ازالة العراقيل التي كان يقيمها تاخر روسيا الاقتصادى امام تحقيق انتاج اشتراكي في هذه البلاد .

كل ذلك يكون منطقيا جدا وراسخ الاساس اذا قبلت الفرضية الاساسية : ينبغي للثورة الروسية بالضرورة ان تطلق الثورة الاوروبية . ولكن ما العمل اذا لم يتم هذا الامر ؟

ان هذه الفرضية لم تثبت صحتها حتى الآن . والآن يتهمون بروليتاريي اوروبا بانهم تخلوا عن الثورة الروسية وخانوها . وهي تهمة موجهة ضد مجهولين ، اذ ، ترى ، من يمكن تحميله مسؤولية سلوك البروليتاريا الاوروبية ؟» (ص ٢٨) .

وبالاضافة الى هذا ، يلوك كاوتسكي ويعلك مردداً أن ماركس وانجلس وبيبل قد أخطأوا مراراً فيما يتعلق بحدوث الثورة التي انتظروها ، ولكنهم لم يبنوا قط تكتيكهم على قيام ثورة» **في موعد معين** (ص ٢٩) ، بينا «علّق» البلاشفة ، على حد زعمه ، «كل آمالهم على الثورة العامة في أوروبا» .

لقد أوردنا هذا المقطع الطويل ، عن قصد وعمد ، لكي نبين بوضوح للقارىء بأية «مهارة» يزوّر كاوتسكي الماركسية اذ يستعيض عنها بوجهة نظر برجوازية صغيرة ، مبتذلة ، رجعية .

أولاً ، أن ينسب المرء الى خصمه حماقة بيّنة لكي يدحضها فيما بعد ، ليس من أساليب الرجال الأذكياء جداً . ولو أن البلاشفة بنوا تكتيكهم على أمل قيام ثورة **في موعد معين** في البلدان الأخرى ، لكانوا ارتكبوا حماقة صارخة لا مراء فيها . ولكن الحزب البلشفي لم يرتكب هذه الحماقة : ففي رسالتي الى العمال الأميركيين (٢٠ آب (أغسطس) ١٩١٨) ، أنكرت هذه الحماقة بصراحة اذ قلت اننا نعوّل على قيام الثورة الأميركية ، ولكن لا في موعد معين . وفي مناظرتي وجدالي مع الاشتراكيين-الثوريين اليساريين و«الشيوعيين اليساريين» (كانون الثاني — آذار ١٩١٨) ، بسطتُ الفكرة نفسها مراراً عديدةً غير أن كاوتسكي لجأ الى تزوير صغير . . . صغير جداً ، بنى عليه كل انتقاده للبلشفية . وخلط معا التكتيك الذي يعتمد على قيام ثورة أوروبية في موعد قريب الى هذا الحد أو ذاك ، ولكنه غير معين ، والتكتيك الذي يعتمد على قيام ثورة أوروبية في موعد معين . فيا له من غش طفيف لا يؤبه له ، لا يؤبه له اطلاقاً !

التكتيك الثاني حماقة . التكتيك الأول **الزامي** على كل ماركسي ، على كل بروليتاري ثوري وكل أممي ؛ **الزامي** لأنه التكتيك الوحيد الذي يحسب الحساب الصحيح ماركسياً للوضع الموضوعي الناجم عن الحرب في جميع البلدان الأوروبية ، ولأنه التكتيك الوحيد الذي يستجيب لمهام البروليتاريا في الميدان الأممي .

ان كاوتسكي ، اذ يضع هذه المسألة الحقيرة ، مسألة الخطأ الذي كان من الممكن أن يقترفه الثوريون البلاشفة ولكنهم لم يقترفوه ، محل تلك المسألة الكبرى ، مسألة مبادىء التكتيك الثوري بوجه عام ، انما يرتد عن التكتيك الثوري بوجه عام ويجحده لا أكثر ولا أقل !

ان كاوتسكي ، المرتد في مجال السياسة ، **لا يعرف** في مجال النظرية حتى **كيف يطرح مسألة** المقدمات الموضوعية للتكتيك الثوري .

وهنا نصل الى النقطة الثانية .

ثانياً ، الاعتماد على قيام الثورة الأوروبية الزامـي علـى الماركسي ، ما دمنا نواجـه **وضعاً ثورياً** . ومن الحقائـق الماركسية الأولى أن تكتيك البروليتاريا الاشتراكية لا يمكن أن يكون واحداً حين يكون الوضع ثورياً وحين لا يكون ثورياً .

ولو أن كاوتسكي طرح هذه المسألة ، الالزامية على كـل ماركسي ، لكان رأى أن الجواب ليس في صالحه اطلاقاً . فقبـل الحرب بزمن بعيد ، كان جميع الماركسيين ، جميع الاشتراكيين يجمعون على الاعتراف بأن الحرب الأوروبية ستؤدي الى نشوء وضع ثوري . ولقد اعترف كاوتسكي بهذا الأمر بكل وضوح ودقة ، في عام ١٩٠٢ («الثورة الاجتماعية») وفـي عام ١٩٠٩ («الطريق نحو الحكم») ، أي قبل أن يصير مرتداً . واعترف بـه بيان بال باسم الأممية الثانية كلها : وليس عبثاً أن الاشتراكيين الشوفينيين والكاوتسكيين («الوسطيين» ، أولئـك الذيـن يتأرجحون بين الثوريين والانتهازيين) في جميع البلدان يخافون تصريحات بيان بال المناسبة خوفهم من النار !

ولذا فان انتظار وضع ثوري في أوروبا لم يكن مجرّد هوس من البلاشفة ؛ انما كان ذلك **رأي** الماركسيين كلهم **الاجماعي** . وحين يتجنب كاوتسكي هذه الحقيقة الثابتة التي لا جدال فيهـا بجمل كهذه : ان البلاشفة «قد آمنوا دائماً بكلية جبروت العنف والارادة» ، فهو **يخفي** فراره المخزي وراء جملة طنانة جوفاء ، لكي لا يضطر الى بحث مسألة الوضع الثوري .

وبعد . هل نحن أمام وضع ثوري أم لا ؟ وهذا السؤال أيضاً ، لم يعرف كاوتسكي كيف يطرحه . أما الجواب ، فتعطيـه الوقائع الاقتصادية : ان الجوع والخراب الشاملين اللذين نجمـا عن الحرب يدلان على وجود وضع ثوري . وعن هذا السؤال تجيب أيضاً الوقائع السياسية : منذ ١٩١٥ ، تتجلى بوضوح في **جميـع** البلدان حركة انشقاق داخل الأحزاب الاشتراكية القديمة التـي أصابتها الآكلة ، حركة **تخلي الجماهير** البروليتارية عن الزعماء الاشتراكيين الشوفينيين واتجاههـا نحو اليسار ، نحو الأفكار والنزعات الثورية ، نحو الزعماء الثوريين .

وهذه الوقائع لم يكن من المستطـاع أن لا يراها في ٥

آب – أغسطس – ١٩١٨ ، حين كان كاوتسكي يكتب كراسه ، الا من يخشى الثورة ويخونها . والحال ، تتصاعد الثورة الآن ، في أواخر تشرين الأول – أكتوبر – ١٩١٨ ، بسرعة بالغة ، أمام الأنظار ، في **جملة** من بلدان أوروبا . أما «الثوري» كاوتسكي ، الذي يريد من الناس أن يعتبروه ماركسياً كما كان من قبل ، فقد تكشف عن تافه ضيق الأفق ، قصير النظر ؛ وهو ، مثله مثل أولئك التافهين الضيقي الأفق من عام ١٨٤٧ الذين سخر منهم ماركس ، لم ير الثورة تقترب ! !

وهنا نصل الى النقطة الثالثة .

ثالثاً ، ما هي خصائص التكتيك الثوري ازاء الوضع الثوري في أوروبا ؟ ان كاوتسكي ، الذي صار مرتداً ، خاف أن يطرح هذا السؤال الالزامي على كل ماركسي . وهو يحاكم كما يحاكم البرجوازي الصغير ، التافه ، الضيق الأفق ، النموذجي ، أو كما يحاكم الفلاح الجاهل : هل نشبت «الثورة العامة في أوروبا» أم لا ؟ اذا كان الجواب بالايجاب ، فانه مستعد ، **هو أيضا** ، ان يصير ثورياً ! ولكن كل الأوباش – ونضيف نحن من جانبنا – سيعمدون آنذاك (كما يفعل هؤلاء الأنذال الذين يلزقون اليوم أحياناً بالبلاشفة الظافرين) الى الاعلان عن أنفسهم أنهم ثوريون !

والا ، انصرف كاوتسكي عن الثورة ! ان كاوتسكي لا يفهم اي شيء على الاطلاق من هذه الحقيقة وهي أن ما يميّز الماركسي الثوري عن المبتذل والبرجوازي الصغير ، هو أن الماركسي الثوري يعرف كيف **يروج بين** الجماهير الجاهلة بفكرة ضرورة الثورة التي تنضج ، **ويقدم البرهان** على حتمية نشوبها ، **ويوضح** فائدتها للشعب ، **ويحضّر** لها البروليتاريا وجميع الجماهير الكادحة والمستثمَرة .

ان كاوتسكي ينسب الى البلاشفة سخافة مفادها أنهم علقوا كل آمالهم على شيء واحد ، اذ حسبوا أن الثورة الأوروبية ستنشب في موعد معين . ولكن هذه السخافة انقلبت على كاوتسكي ، ذلك أنه ينجم بالضبط من كلماته ما يلي : لو أن الثورة الأوروبية نشبت في ٥ آب (أغسطس) ١٩١٨ ، لكان تكتيك البلاشفة صحيحاً ! وهذا التاريخ هو الذي يعطيه كاوتسكي

على أنه تاريخ كتابة كراسه . وحين تبين ، بعد ٥ آب ببضعة أسابيع ، أن الثورة قد بدأت في عدة بلدان أوروبية ، تجلى كل ارتداد كاوتسكي بكل جماله ، وكذلك كل تزويره للماركسية ، وكل عجزه عن التفكير والتحليل وحتى عن طرح المسائل كما يطرحها الثوري !

ويقول كاوتسكي : ان اتهام بروليتاريي أوروبا بالخيانة يعني توجيه التهمة ضد مجهولين .

أنت تخطىء ، يا سيدّ كاوتسكي ! انظر الى المرآة ، ترَ «المجهولين» الذين تقصدهم هذه التهمة . ان كاوتسكي يتظاهر بالسذاجة ؛ يتظاهر بأنه لا يدرك من ذا الذي وجه هذه التهمة **وما هو معناها** . والحقيقة أن كاوتسكي يعرف تمام المعرفة أن هذه التهمة انما وجهها ويوجهها «اليساريون» الألمان ، السبارتاكيون (٥٨) ، ليبكنخت وأصدقاؤه . هذه التهمة دليل على **الادراك الواضح** لواقع أن البروليتاريا الألمانية خانت الثورة الروسية (والعالمية) ، حين خنقت فنلنده وأوكرانيا ولاتفيا وايستلنده . وهذه التهمة تقصد أولا وقبل كل شيء ، لا **الجماهير** ، المرهقة على الدوام ، بل **الزعماء** الذين ، مثلهم مثل الشيدمانيين والكاوتسكيين ، **لم يقوموا** بواجبهم — القيام بالتحريض الثوري والدعاوة الثورية ، القيام بعمل ثوري بين الجماهير لمكافحة جمودها — والذين ساروا في الواقع **ضد** الغرائز والمطامح الثورية الخافية نارها دائماً في أعماق جماهير الطبقة المظلومة . فان الشيدمانيين قد خانوا البروليتاريا بصورة سافرة ، فظة ووقحة ، وفي معظم الأحيان لدوافع مغرضة ، وانتقلوا الى جانب البرجوازية . والشيء نفسه فعله الكاوتسكيون واللونغيتيون ، بتردد ، بتأرجح ، ناظرين ومتلفتين الى أقوياء الساعة بجبانة . وقد حاول كاوتسكي ، بكل كتاباته في أيام الحرب ، أن **يخمد** الروح الثوري بدلاً من الحفاظ عليه وانمائه .

ان كاوتسكي لا يدرك حتى الأهمية الهائلة التي تتسم بها في الحقل **النظري** ، وأكثر أيضاً في حقل التحريض والدعاوة ، «التهمة» الموجهة ضد بروليتاريي أوروبا والقائلة بأنهم خانوا الثورة الروسية ، وهذا ما سيبقى بمثابة نصب تاريخي حقاً

لهذه البلادة والتفاهة وضيق الأفق التي يمتاز بها زعيم الاشتراكية الديموقراطية الألمانية الرسمية «المتوسط» ! ان كاوتسكي لا يدرك أن هذه «التهمة» تكاد تكون ، في ظل نظام الرقابة في «الامبراطورية» الألمانية ، الشكل الوحيد الذي **يدعو** به الاشتراكيون الألمان الذين لم يخونوا الاشتراكية – ليبكنخت وأصدقاؤه – **العمال الألمان** الى الاطاحة بالشيدمانيين والكاوتسكيين ، الى نبذ مثل هؤلاء «الزعماء» ، الى التحرر من مواعظهم المخبّلة والمبتذلة ، الى النهوض **رغما** عنهم ، **متجنبين** اياهم ، فوق رؤوسهم ، نحو الثورة ، **في سبيل الثورة** !

وهذا ما لا يفهمه كاوتسكي . وكيف تريدونه أن يفهم تكتيك البلاشفة ؟ هل يمكننا أن نتوقع ممن يرتد عن الثورة على العموم ، أن يزن ويقدر ظروف تطور الثورة في حالة من «أصعب» الحالات ؟

لقد كان تكتيك البلاشفة صحيحاً ؛ وكان التكتيك الأممي **الوحيد** ، لأنه لم يكن يرتكز على أي خوف ذليل من الثورة العالمية ، ولا على «الشك» التافه ازاءها ، ولا على الرغبة القومية الصرف في دفاع المرء عن وطن«ه» (وطن البرجوازية) و«البصق» على كل الباقي ؛ لأنه كان يرتكز على **تقدير** الوضع الثوري في أوروبا تقديراً صحيحاً (اعترف به الجميع قبل الحرب ، قبل ارتداد الاشتراكيين الشوفينيين والاشتراكيين المسالمين) . كان هذا التكتيك التكتيك الأممي الوحيد لأنه كان يقرر الحد الأقصى مما يمكن تحقيقه في بلد واحد **من أجل** تطوير الثورة ومساندتها وايقاظها **في جميع البلدان** . وقد ثبتت صحة هذا التكتيك بنجاح هائل ، لأن البلشفية غدت بلشفية **عالمية** (وليس ذلك أبداً بسبب من مآثر البلاشفة الروس ، بل بسبب من عطف **الجماهير** في كل مكان على هذا التكتيك ، الثوري فعلاً ، عطفاً في منتهى العمق والشمول) ؛ ان البلشفية قد أعطت فكرةً ونظريةً وبرنامجاً وتكتيكاً ، تمتاز كلها بصورة ملموسة ، في النشاط العملي ، عن الاشتراكية الشوفينية والاشتراكية المسالمة . ان البلشفية قد **أجهزت** على الأممية القديمة المتعفنة ، أممية اضراب شيدمان وكاوتسكي ورينوديل ولونغه وهندرسون وماكدونالد ، الذين سيلبكون منذ الآن بعضهم

بعضاً حالمين «بالوحدة» وساعين الى بعث الحياة في جثـــة . ان البلشفية قد **وضعت** الأسس الفكرية والتكتيكية لأممية ثالثة ، بروليتارية وشيوعية حقاً ، تأخذ بعين الاعتبار ، في آن واحد ، مكتسبات عهد السلام وتجربة **عهد الثورات الذي بدأ .**

ان البلشفية قد أشاعت بين صفوف الشعب في العالم كلـــه فكرة «ديكتاتورية البروليتاريا» ؛ وهاتان الكلمتان ، انمـــا ترجمتهما أولاً عن اللاتينية الى الروسية ، ثم الى **جميع** لغـــات العالـــم ؛ وبينت بمثال **السلطة السوفييتية** أن العمال والفلاحين الفقراء **حتى** في بلد متأخر ، وحتى أقلهم تجربة ، وأقلهم تعليماً ، وأقلهم تعوداً على التنظيم ، قد **استطاعوا** ، خلال سنة كاملـــة ، وفي غمرة من المصاعب الهائلة وفـــي معمعان النضـــال ضـــد المستثمرين (الذين كانت تدعمهم برجوازية العالم **بأسره**) ، أن يصونوا سلطة الشغيلة ، وينشئوا ديموقراطية أرقى وأوســـع بما لا حد له من جميع الديموقراطيات السابقة في العالم **ويدشنوا** عهد العمل الخلاق يبذله عشرات الملايين من العمـــال والفلاحين من أجل تطبيق الاشتراكية في الواقع العملي .

وبالفعل ، أسهمت البلشفيـــة بقسط كبير جداً في تطوير الثورة البروليتارية في أوروبا وأميركا ، كما لم يستطع فعلـــه حتى الآن أي حزب في أي بلد من البلدان . وبينا يدرك العمال في العالم أجمع ، بوضوح متزايد على الدوام ، ان تكتيك الشيدمانيين والكاوتسكيين لم يحررهم لا من الحرب الامبريالية ولا من عبودية العمل المأجور في ظل البرجوازية الامبريالية وان هذا التكتيك لا يصلح لكي يكون نموذجاً لجميع البلدان ، – تدرك الجماهيـــر البروليتارية في جميع البلدان ، بوضوح متزايد على الدوام ، ان البلشفية قد أشارت الى السبيل القويم الواجب اتباعه مـــن اجل الخلاص من ويلات الحرب والامبريالية ، وأن البلشفيـــة **تصلح لأن تكون نموذجاً في التكتيك للجميع .**

ان الثورة البروليتارية تنضج أمام البصر ، لا في أوروبـــا وحسب ، بل في العالم كله ، وانتصار البروليتاريا في روسيـــا هو الذي ساعدها وعجلها ودعمها . أفلا يكفي كل هذا لانتصار الاشتراكية انتصاراً تامـــاً ؟ كـــلا بالطبع . ان بلداً واحـــداً لا يستطيـــع أن يفعـــل أكثر ، ومـــع ذلك ، انجز هذا البلـــد

وحده من الأمور بفضل السلطة السوفييتية ، بحيث انه ، حتى لو أن الامبريالية العالمية تمكنت غداً من سحق السلطة السوفييتية الروسية ، بتفاهم بين الامبرياليتين الألمانية والانجلو-فرنسية ، مثلاً ، حتى في هذا الاحتمال الأسوأ بين أسوأ الاحتمالات ، لظل التكتيك البلشفي مع ذلك على أكبر جانب من الفائدة للاشتراكية والدعم نمو الثورة العالمية التي لا تقهر .

الاستخذاء امام البرجوازية
بحجة «التحليل الاقتصادي»

اكان ينبغي ، كما سبق وقلنا ، أن يسمى كتاب كاوتسكي ، — اذا كان عنوانه يعكس محتواه بأمانة ، — لا : «ديكتاتورية البروليتاريا» ، بل «طبعة جديدة لتهجمات البرجوازية على البلاشفة» .

فان «نظريات» المناشفة القديمة حول طابع الثورة الروسية البرجوازي ، أي تشويه المناشفة القديم للماركسية (الذي رفضه كاوتسكي في عام ١٩٠٥ !) ، انما يعود نظريتنا ويبعثها اليوم ، فيجب علينا أن نتوقف عند هذه المسألة ، مهما كانت مملة بالنسبة للماركسيين الروس .

الثورة الروسية ثورة برجوازية ؛ هكذا كان يقول جميع الماركسيين في روسيا قبل عام ١٩٠٥ . الا أن المناشفة استعاضوا عن الماركسية بالليبرالية واستخلصوا من هذا القول ما يلي : وبالتالي ، يجب على البروليتاريا أن لا تتجاوز ما هو مقبول عند البرجوازية ؛ يجب عليها أن تنتهج سياسة قوامها التفاهم معها . فقال البلاشفة ان هذه النظرية نظرية برجوازية ليبرالية . فالبرجوازية تسعى جهدها لاعادة تنظيم الدولة على الطريقة البرجوازية ، **الاصلاحية** ، لا على الطريقة الثورية ، محافظة قدر الامكان سواء على المَلكية أم على المُلكية العقارية الكبيرة ، الخ . . بينا يجب على البروليتاريا أن تسير بالثورة البرجوازية الديموقراطية الى النهاية ، دون أن تسمح «بتقييد»ها باصلاحية البرجوازية . والنسبة بين القوى **الطبقية**

في الثورة البرجوازية ، انما صاغها البلاشفة على النحو التالي : تجتذب البروليتاريا الفلاحين الى جانبها ، فتحمل البرجوازية الليبيرالية على لزوم موقف الحياد ، وتقضي كلياً على الملكية وبقايا القرون الوسطى والمُلكية العقارية الكبيرة .

ففي التحالف بين البروليتاريا والفلاحين **بوجه عام** ، يتجلى طابع الثورة البرجوازي ، لأن الفلاحين بوجه عام يتألفون من منتجين صغار يقفون على صعيد الانتاج البضاعي . ثم ان البروليتاريا ، كما كان يضيف البلاشفة آنذاك بالذات ، تضم اليها كل **شبه البروليتاريا** (جميع الكادحين والمستثمَرين) وتحمل الفلاحين المتوسطين على لزوم موقف الحياد ، **وتسقط** البرجوازية : وهذا ما يميز الثورة الاشتراكية عن الثورة البرجوازية الديموقراطية (راجعوا كراسي الصادر عام ١٩٠٥ : «خطتان» ، وقد أعيد طبعه في مجموعة : «خلال اثنتي عشرة سنة» ، بطرسبورغ ، ١٩٠٧) .

وقد اشترك كاوتسكي ، بصورة غير مباشرة ، في هذا النقاش الذي قام عام ١٩٠٥ (٥٩) ، وذلك حين أعلن ، جواباً عن سؤال بليخانوف الذي كان آنذاك منشفياً ، بأنه **ضده** من حيث الأساس ، الأمر الذي أثار في ذلك العهد سخر الصحافة البلشفية . أما الآن ، فان كاوتسكي لا يملك **أية كلمة** لذكر مناقشات آنذاك (فهو يخشى أن تدحضه تصريحاته بالذات !) ، حارماً على هذا النحو القارىء الألماني كل امكانية لفهم جوهر الموضوع . فان السيد كاوتسكي **لم يكن يستطيع** في عام ١٩١٨ أن يخبر العمال الألمان بأنه كان في عام ١٩٠٥ يؤيد تحالف العمال مع الفلاحين لا مع البرجوازية الليبيرالية ؛ وأية شروط ، أي برنامج كان يرسمها لهذا التحالف .

ان كاوتسكي ، الذي عاد القهقرى ، يعمد اليوم ، بحجة «التحليل الاقتصادي» ، ووراء ستار من التعابير الطنانة المفخمة عن «المادية التاريخية» ، الى الدفاع عن اخضاع العمال للبرجوازية ، ويلوك مفاهيم المناشفة الليبيرالية القديمة بواسطة استشهادات يستقيها من المنشفي ماسلوف ؛ وفضلاً عن ذلك يقدم البرهان ، بالاستناد الى طائفة من الاستشهادات ، على صحة فكرة جديدة – تأخر روسيا ، – ومن هذه الفكرة

الجديدة يستخلص الاستنتاج القديم القائل أنه لا يمكن في الثورة البرجوازية المضي أبعد من البرجوازية ! وهذا ، رغم كل ما قاله ماركس وانجلس حين قارنا الثورة البرجوازية في فرنسا في أعوام ١٧٨٩-١٧٩٣ بالثورة البرجوازية في ألمانيا عام ١٨٤٨ ! (٦٠)

وقبل الانتقال الى «الحجة» الرئيسية والمحتوى الأساسي في هذا «التحليل الاقتصادي» الذي تفضل به كاوتسكي ، نلاحظ أنه منذ الجمل الأولى يتجلى تشوش غريب في الأفكار أو انعدام التفكير عند صاحبها :

«ان الأساس الاقتصادي في روسيا لا يزال اليوم الزراعة ، الانتاج الفلاحي الصغير على وجه التدقيق . فمنها يعيش قرابة أربعة أخماس سكان روسيا ان لم يكن خمسة أسداسهم» (ص ٤٥) . هكذا يقول صاحبنا «النظري» برصانة ووقار . أولاً ، يا حضرة النظري اللطيف ، هل تساءلت كم مستثمِراً يمكن أن يكون في عداد هذا الجمهور من صغار المنتجين ؟ بالطبع ، ليس أكثر من العُشر ، وأقل منه في المدن ، اذ أن الانتاج الضخم أكثر تطوراً فيها . بل خذ رقماً عالياً لا يصدق . افترض أن خُمس صغار المنتجين مستثمِرون يفقدون حقوقهم الانتخابية . حتى في هذه الحالة ، ينجم أن البلاشفة الذين كانوا يؤلفون ٦٦ بالمئة في المؤتمر الخامس للسوفييتات كانوا يمثلون **أغلبية السكان** . والى هذا ينبغي أن نضيف أيضاً أن قسماً كبيراً من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين قد أيَّد السلطة السوفييتية على الدوام ، أي أن **جميع** الاشتراكيين-الثوريين اليساريين أيَّدوا مبدئياً السلطة السوفييتية ، وحين اندفع قسم منهم في تلك المغامرة التي كانتها انتفاضة تموز (يوليو) ١٩١٨ ، انفصل حزبان جديدان عن حزبهم القديم : حزب «الشعبيين-الشيوعيين» وحزب «الشيوعيين-الثوريين» (٦١) (من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين البارزين ، ممن اقترحهم حزبهم القديم لشغل أهم مناصب الدولة ؛ فالى الحزب الأول ينتسب مثلاً زاكس ، والى الحزب الثاني كوليغايف) . وهكذا ، دحض كاوتسكي بنفسه — دون قصد منه ! — تلك الحكاية المضحكة الزاعمة أن البلاشفة لا تؤيدهم الا أقلية السكان .

ثانياً ، يا حضرة النظري اللطيف ، هل فكرت في أن الفلاح المنتج الصغير يتأرجح **حتماً** بين البروليتاريا والبرجوازية ؟ ان هذه الحقيقة الماركسية التي أكدها كل تاريخ أوروبا المعاصر ، قد «نسيها» كاوتسكي في الوقت المناسب لأنها تحوّل كل «النظرية» المنشفية التي تبناها الى هباء منثور ! ولو أن كاوتسكي لم «ينس» هذه الحقيقة ، لما استطاع أن ينكر ضرورة ديكتاتورية البروليتاريا في بلد يهيمن فيه صغار المنتجين الفلاحين . — — —

لنبحث المحتوى الأساسي في هذا «التحليل الاقتصادي» الذي تفضل به صاحبنا النظري .

اما أن تكون السلطة السوفييتية ديكتاتورية ، فأمر واضح لا جدال فيه ؛ هكذا يقول كاوتسكي . «ولكن هل هي حقاً ديكتاتورية **البروليتاريا** ؟» (ص ٣٤) .

«ان الفلاحين يشكلون ، بموجب الدستور السوفييتي ، اغلبية السكان الذين يحق لهم الاشتراك في التشريع والادارة . وما يقدمونه لنا على انه ديكتاتورية **البروليتاريا** لن يكون ، — اذ ما طبقت هذه الديكتاتورية بصورة منسجمة الى النهاية واذا استطاعت طبقة ما ، بوجه عام ، ان تحقق الديكتاتورية مباشرة ، الامر الذى لا يستطيعه الا حزب ، — لن يكون الا ديكتاتورية **الفلاحين**» (ص ٣٥) .

وكاوتسكي الطيب ، الراضي كل الرضى عن محاكمة بمثل هذا العمق وهذه الظرافة ، يحاول أن يسخر : «ينجم مما سبق أن تحقيق الاشتراكية بأقل الآلام مضمون اذا ما عهد به الى الفلاحين» (ص ٣٥) .

وبكثرة من التفاصيل وطائفة من الاستشهادات المفرطة في «العلم» والمأخوذة عن نصف الليبيرالي ماسلوف ، يحاول صاحبنا النظري أن يقدم البرهان على صحة هذه الفكرة الجديدة القائلة ان من مصلحة الفلاحين أن ترتفع أسعار الحبوب وتنخفض أجور عمال المدن ، الخ . ، الخ . . والحال أن هذه الأفكار الجديدة معروضة بصورة تبعث على مزيد من الضجر بقدر ما يولى أقل من الانتباه للظاهرات الجديدة حقاً بعد الحرب ، كالظاهرات التالية ، مثلا : الفلاحون يطلبون البضائع ، لا النقد ، مقابل الحبوب ؛ الفلاحون تنقصهم الأدوات التي لا

يستطيعون الحصول عليها بالأعداد اللازمة ، ولو دفعوا كل ذهب العالم . وسنتناول أدناه هذا الموضوع على حدة .

وهكذا يتهم كاوتسكي البلاشفة ، حزب البروليتاريا ، بأنه عهد بالديكتاتورية ، عهد بقضية تحقيق الاشتراكية الى الفلاحين البرجوازيين الصغار . رائع ، يا سيد كاوتسكي ! أي موقف ، حسب رأيك النيّر ، يجب أن يقفه حزب بروليتاري من الفلاحين البرجوازيين الصغار ؟

غير أن صاحبنا النظري قد فضّل السكوت بهذا الصدد . فلا ريب أنه تذكر المثل القائل : «اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» . ومع ذلك ، فضح كاوتسكي نفسه في ملاحظته التالية :

«في بدء الجمهورية السوفييتية كانت السوفييتات الفلاحية منظمات للفلاحين بوجه عام . اما اليوم فان هذه الجمهورية تعلن ان السوفييتات منظمات للبروليتاريين والفلاحين **الفقراء** . والفلاحون الميسورون يفقدون حق الانتخاب الى السوفييتات . وهنا يعتبر الفلاح الفقير نتاجا دائما وبالجملة من نتاجات الاصلاح الزراعي الاشتراكي في ظل «ديكتاتورية البروليتاريا» (ص ٤٨) .

ما ألذع هذه السخرية ! وانك لتستطيع أن تسمعها في روسيا على لسان أي من البرجوازيين : فجميعهم يشمتون ويضحكون اذ يرون الجمهورية السوفييتية تعترف جهاراً بوجود فلاحين فقراء . وهم يتهكمون على الاشتراكية وهذا حقهم . ولكن «الاشتراكي» الذي يجد مادة للتهكم لأنه لا يزال عندنا — وسيظل زمناً طويلاً — فلاحون فقراء ، نظراً لأربع سنوات من حرب مدمّرة مبيدة ، ان مثل هذا «الاشتراكي» لم يكن من الممكن ان يولد الا في ظروف الارتداد بالجملة .

واليكم أيضاً :

«. . . ان الجمهورية السوفييتية تتدخل في العلاقات بين الفلاحين الاغنياء والفلاحين الفقراء ، ولكن دون ان تلجأ الى توزيع الارض من جديد . ولأجل تامين حاجات سكان المدن الى الخبز ، ترسل الى الريف فصائل مسلحة من العمال تنتزع من الفلاحين الاغنياء فائض حبوبهم . وقد خصص قسم من هذه الحبوب لسكان المدن ، والقسم الآخر للفلاحين الفقراء» (ص ٤٨) .

ان الاشتراكي والماركسي كاوتسكي ساخط بالطبع ، عميق السخط على الفكرة القائلة باحتمال استشراء هذا التدبير الى أن يشمل ما وراء ضواحي المدن الكبيرة (والحال انه يشمل عندنا البلاد بأسرها) . ان الاشتراكي والماركسي كاوتسكي يلاحظ بلهجة واعظة ، وبرباطة جأش (أو بلادة) التافه الضيق الأفق الرائعة ، التي لا توصف ، التي لا مثيل لها : «. . . انها (أي مصادرة أملاك الفلاحين الميسورين) تحمل عنصراً جديداً من الاضطراب والحرب الأهلية الى عملية الانتاج . . .» (هذه الحرب الأهلية المحمولة الى «عملية الانتاج» ، أليست حقاً شيئاً خارق الطبيعة !) «. . . الذي يحتاج بشكل ملح الى الهدوء والأمن لكي يصح ويتعافى» (ص ٤٩) .

أجل ، أجل ، انه يليق حقاً بالماركسي والاشتراكي كاوتسكي أن يطلق زفرة ويسكب دمعة بصدد هدوء وأمن المستثمرين والمضاربين بالحبوب ، الذين يخفون فوائضها وينتهكون قانون احتكار الحبوب ويفرضون المجاعة على سكان المدن . نحن كلنا اشتراكيون وماركسيون وامميون — هكذا يهتف معاً ، كجوقة واحدة ، السادة اضراب كاوتسكي وهنريخ فيبر (فيينا) ولونغه (باريس) وماكدونالد (لندن) ومن لف لفهم — نحن كلنا نؤيد ثورة الطبقة العاملة ، ولكن . . . ولكن شرط أن لا تقلق هدوء وأمن المضاربين بالحبوب ! وهذا الاستخذاء القذر أمام الرأسماليين ، انما نغطيه باستشهاد «ماركسي» بـ«عملية الانتاج» . . . اذا كانت تلك هي الماركسية ، فما عسى أن يكون اذ ذاك الاستخذاء أمام البرجوازية ؟

اليكم أين يبلغ المطاف بصاحبنا النظري . أنه يتهم البلاشفة بأنهم يصورون ديكتاتورية الفلاحين على أنها ديكتاتورية البروليتاريا . ويتهمنا في الوقت نفسه بأننا نحمل الحرب الأهلية الى الأرياف (ونحن نعتبر هذا الأمر مأثرة لنا) ، ونرسل الى القرى فصائل مسلحة من العمال تعلن جهاراً بأنها تحقق «ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الفقراء» ، وتساعد الفلاحين الفقراء ، وتصادر من المضاربين والفلاحين الأغنياء فوائض الحبوب التي يخفونها خلافاً لقانون احتكار الحبوب .

فمن جهة ، يؤيد صاحبنا النظري الماركسي الديموقراطية

الخالصة ، وخضوع الطبقة الثورية ، مرشدة الكادحين والمستثمَرين ، لأغلبية السكان (ومن ضمنهم ، بالتالي ، المستثمِرون أيضاً) . ومن جهة أخرى ، يحاول أن يقدم الدليل **ضدنا** على أن طابع الثورة هو بالضرورة برجوازي ، برجوازي لأن الفلاحين بالاجمال يقفون على صعيد العلاقات الاجتماعية البرجوازية ! وهو يدعي في الوقت نفسه أنه يدافع عن وجهة النظر البروليتارية ، الطبقية ، عن وجهة النظر الماركسية !

ليس هذا «بتحليل اقتصادي» ، انما هو سلاطة ، تشوش من الدرجة الأولى . وليس هذا بماركسية ، انما هو فتائت من مذاهب ليبيرالية ونشر لروح الاستخذاء أمام البرجوازية وأمام الكولاك .

وعلى المسألة التي شوشها كاوتسكي بهذا الشكل ، سلط البلاشفة النور ساطعاً منذ ١٩٠٥ . أجل ، ان ثورتنا برجوازية ، **ما دمنا** نمشي **مع** الفلاحين **بمجملهم** . وهذا ما كنا ندركه بوضوح تام ، وما رددناه مئات المرات وآلاف المرات منذ ١٩٠٥ ؛ ونحن لم نحاول قط أن نقفز فوق هذه الحقبة الضرورية من التطور التاريخي ، ولا أن نقضي عليها بالمراسيم . ان الجهود الفاشلة التي يبذلها كاوتسكي لكي «يدحض»نا في هذه النقطة لا تنم الا عن تشوش أفكاره وخوفه من أن يتذكر ما كتبه عام ١٩٠٥ ، أي قبل أن يصير مرتداً .

ولكننا في عام ١٩١٧ ، منذ شهر **نيسان** (أبريل) ، أي قبل ثورة أكتوبر واستلامنا السلطة بزمن طويل ، قلنا للشعب علناً وشرحنا له جهاراً : ان الثورة لن تتمكن الآن من الوقوف عند هذه الدرجة لأن البلاد سارت شوطاً من الطريق ، والرأسمالية خطت خطوة الى الأمام ، والخراب الذي يبلغ مقاييس لم يسمع بمثلها من قبل ، **سيتطلب** (شاء ذلك أحد أم أبى) خطوات الى الأمام ، **نحو الاشتراكية** . والا **استحال** المضي الى الأمام ، وانقاذ البلاد التي أنهكتها الحرب ، **والتخفيف** من آلام الكادحين والمستثمَرين .

وقد جرى كل شيء تماماً كما قلنا ، وأكد مجرى الثورة صحة محاكمتنا . **أولاً** ، مع «كل» الفلاحين ضد المَلَكية ، ضد الملاكين العقاريين ، ضد القرون الوسطى (ونظراً لذلك تبقى

الثورة ثورة برجوازية ، ثورة برجوازية ديموقراطية) . **ثم** ، مع الفلاحين الفقراء ، مع أنصاف البروليتاريين ، مع جميع المستثمَرين ، **ضد الرأسمالية** ، بمن فيها الريفيون الأغنياء ، الكولاك ، المضاربون ؛ وعليه تصبح الثورة ثورة **اشتراكية** . وما الرغبة في اقامة حاجز اصطناعي كسور الصين بين الثورتين ، والفصل بينهما بغير درجة استعداد البروليتاريا ودرجة اتحادها مع الفلاحين الفقراء الا تشويه كبير جداً للماركسية ، وتحقير لها ، واحلال لليبيرالية محلها . فكأن يريد المرء ، باستشهادات علمية مزعومة بطابع البرجوازية التقدمي ازاء القرون الوسطى ، أن يمرر الدفاع الرجعي عن البرجوازية ضد البروليتاريا الاشتراكية .

ومن أسباب كون السوفييتات تمثل شكلاً ونموذجاً أرقى بما لا حد له من الديموقراطية ، هو أنها ، اذ تضم **سواد العمال والفلاحين** وتشركهم في الحياة السياسية ، انما تؤلف أقرب جهاز الى «الشعب» (بالمعنى الذي تحدث فيه ماركس ، عام ١٨٧١ ، عن الثورة الشعبية حقاً) (٦٢) ، البارومتر الأكثر حساسية لتطور الجماهير ، لنمو نضوجها السياسي ، نضوجها الطبقي . ان الدستور السوفييتي لم يوضع وفق «برنامج» ما ، ولم يؤلّف في المكاتب ، ولم يُفرَض على الشغيلة من قبل حقوقيين برجوازيين . كلا . فان هذا الدستور **قد ولد** من سير تطور **النضال الطبقي** ، بقدر ما كانت تنضج **التناحرات الطبقية** . والبرهان على هذا القول انما تقدمه على وجه الضبط تلك الوقائع التي اضطر كاوتسكي الى الاعتراف بها .

في البدء ، كانت السوفييتات تضم الفلاحين بمجملهم . ونظراً لجهل الفلاحين الفقراء وتأخرهم وانعدام الثقافة بينهم ، ظلت القيادة في أيدي الكولاك ، الأغنياء ، الرأسماليين ، المثقفين البرجوازيين الصغار . وكانت تلك مرحلة سيطرة البرجوازية الصغيرة ، سيطرة المناشفة والاشتراكيين الثوريين (وليس غير الحمقى أو المرتدين أمثال كاوتسكي من يستطيعون اعتبار هؤلاء واولئك في عداد الاشتراكيين) . وكانت البرجوازية الصغيرة ، بحكم الضرورة ، بصورة محتمة ، تتأرجح بين ديكتاتورية البرجوازية (كيرنسكي ، كورنيلوف ، سافينكوف)

وديكتاتورية البروليتاريا ، لأن البرجوازية الصغيرة عاجزة ، بسبب من خصائص وضعها الاقتصادي الأساسية ، عن القيام باي عمل مستقل . وبالمناسبة نقول ان كاوتسكي يرتد عن الماركسية تماماً : ففي تحليله للثورة الروسية ، يكتفي بالمفهوم الحقوقي ، الشكلي «للديموقراطية» ، الذي تستخدمه البرجوازية لتغطية سيطرتها وخداع الجماهير ، **وينسى** أن «الديموقراطية» تعني في الواقع ، أحياناً **ديكتاتورية البرجوازية** ، وأحياناً عجز اصلاحية البرجوازية الصغيرة التي تخضع لهذه الديكتاتورية ، الخ . . ويبدو ، من أقوال كاوتسكي ، انه كانت في بلد راسمالي أحزاب برجوازية ، وانه كان هناك حزب بروليتاري (البلاشفة) يجتذب وراءه أغلبية البروليتاريا ، سواد البروليتاريا ، ولكنه **لم تكن هناك** أحزاب برجوازية صغيرة ! ولم يكن للمناشفة والاشتراكيين الثوريين **أية جذور طبقية** ، أية جذور في البرجوازية الصغيرة !

ان ترددات البرجوازية الصغيرة ، ترددات المناشفة والاشتراكيين الثوريين قد أثارت الجماهير وانصرفت الأغلبية الساحقة من هذه الجماهير ، عموم «الفئات الدنيا» ، جميع البروليتاريين وأشباه البروليتاريين عن مثل هؤلاء «الزعماء» . واحرز البلاشفة قصب التفوق في السوفييتات (في تشرين الأول — أكتوبر — ١٩١٧ ، في بتروغراد وموسكو) ؛ وتفاقم الانشقاق بين الاشتراكيين الثوريين والمناشفة .

وجاء انتصار الثورة البلشفية يضع حداً للترددات . فقد كانت هذه الثورة تعني القضاء التام على المَلكية والمُلكية العقارية (فان هذه المُلكية العقارية **لم** يقض عليها قبل ثورة أكتوبر) . ولقد سرنا بالثورة **البرجوازية الى النهاية** . وسار الفلاحون **بمجملهم** وراءنا . ولم يكن من الممكن أن يتجلى تناحرهم ازاء البروليتاريا الاشتراكية دفعةً واحدةً . وكانت السوفييتات تضم الفلاحين **بوجه عام** . ولم يكن الانقسام في صفوف الفلاحين الى طبقات قد نضج بعد ، لم يكن قد تجلى .

وقد تطورت **هذه** العملية في صيف وخريف ١٩١٨ ، فان انتفاضة التشيكوسلوفاكيين ضد الثورة قد أيقظت الكولاك . فتدفقت على روسيا موجة من انتفاضات الكولاك . فليست الكتب

ولا الصحف ، **بل الحياة** هي التي أثارت الفلاحين الفقـــراء حول استحالة توفيق مصالحهـــم مـــع مصالح الكولاك ، الأغنيـــاء ، البرجوازيـــة الريفيـــة . وكان «الاشتراكيون-الثوريـــون اليساريون» ، شأنهم شأن كل حزب برجوازي صغير ، يعكسون ترددات الجماهير ، وقد انشقوا على بعضهم فـــي صيف ١٩١٨ بالضبط : قسم منهم انضم الى التشيكوسلوفاكيين (انتفاضـــة موسكو التي استولى فيها بروشيان – لساعة واحدة فقط ! – على التلغراف ، وأنبأ روسيا بسقوط البلاشفة ؛ ثـم خيانـــة مورافييف ، القائـــد الأعـــلى للجيش المرسَـل ضـــد التشيكوسلوفاكيين ، الخ . .) . والقسم الآخر ، الذي أشرنا اليه آنفاً ، بقي مع البلاشفة .

ان استفحال أزمة التموين في المدن قد وضع بحدة متنامية قضية احتكار الحبوب (وهي القضيـــة التـــي «نسيها» النظري كاوتسكي في تحليله الاقتصادي الذي يكرر الأفكار العتيقة التي وردت عند ماسلوف منذ عشر سنوات !) .

ان الدولة السابقة ، دولة الملاكين العقاريين والبرجوازيـــة ، وحتى الدولة الجمهورية الديموقراطية ، كانت ترسل الى الأرياف فصائل مسلحة كانت في الواقع تحت تصرف البرجوازية . وهذا الأمر يجهله السيد كاوتسكي ! وهو لا يرى أبداً هنا أي مظهـــر من مظاهر «ديكتاتورية البرجوازية» ، أستغفر اللّه ! ان هذه «ديموقراطية خالصة» ، لا سيما اذا صادق عليهـــا برلمـــان برجوازي ! وأن يكون افكسنتييف وس . ماسلوف (٦٣) قـــد عمدا برفقة كيرنسكي وتسيريتيلي وأضرابهمـــا من جماعـــة الاشتراكيين-الثوريين والمناشفـــة ، الى اعتقال أعضاء لجـــان الأرض في صيف وخريف ١٩١٧ ، فهذا ما «لـم يسمـــع» بـه كاوتسكي ولا ينبس عنه بكلمة !

والقضية كلها هي أن الدولة البرجوازيـــة ، التي تحقـــق ديكتاتورية البرجوازية بوساطة الجمهورية الديموقراطيـــة ، لا يمكنها أن تعترف أمام الشعب بأنها تخدم البرجوازية ؛ وهي لا تستطيع أن تقول الحقيقة ، فتضطر الى الرياء .

أما الدولة من طراز الكومونة ، الدولة السوفييتية ، فانها ، على العكس ، تقول **الحقيقة** للشعب بكل صراحـــة ودون لف ولا

دوران : فهي تعلن أنها ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الفقراء ، وبهذه الحقيقة بالضبط تكسب الى جانبها عشرات وعشرات الملايين من المواطنين الجدد ، المظلومين في ظل أية من الجمهوريات الديموقراطية ، بينا تشركهم السوفييتات في السياسة ، في **الديموقراطية** ، في ادارة شؤون الدولة . ان الجمهورية السوفييتية ترسل الى الأرياف فصائل مسلحة من العمال ، تختارهم بالدرجة الأولى من بين أكثر العمال تقدماً ، عمال العاصمتين . وهؤلاء العمال يحملون الاشتراكية الى القرية ، ويجتذبون اليهم الفلاحين الفقراء وينظمونهم ويعلمونهم ويساعدونهم على **قمع مقاومة البرجوازية** .

ان الذين يلمون بالمسألة وزاروا الريف يقولون ان في صيف وخريف ١٩١٨ فقط تعيش أريافنا ثورة «أكتوبر» **ذاتها** (أي الثورة البروليتارية) . ان انعطافاً يحل . فان موجة الانتفاضات الكولاكية تخلي المكان لنهوض الفلاحين الفقراء ، لتكاثر «لجان الفلاحين الفقراء» (٦٤) . واننا لنشهد في الجيش ازدياد عدد المفوضين من العمال ، والضباط من العمال ، وقادة الفرق والجيوش من العمال . وحين يتملك الذعر الغبي كاوتسكي بسبب من أزمة تموز (يوليو) (١٩١٨) (٦٥) ، ونواح البرجوازية وعويلها ، فيندفع وراءها «منطنطاً» ويكتب كراساً كاملاً يتفجر فيه اقتناعه بأن البلاشفة على وشك أن يسقطهم الفلاحون ، وحين يرى هذا الابله في انفصال الاشتراكيين-الثوريين اليساريين «تقلصاً» (ص ٣٧) في حلقة اولئك الذين يساندون البلاشفة ، حينذاك **تتسع الحلقة الفعلية** لأنصار البلشفية **الى ما لا حد له** ، لأن العشرات والعشرات من ملايين الفلاحين الفقراء يتحررون من وصاية الكولاك والبرجوازية الريفية ونفوذهم ، وينهضون الى الحياة السياسية **المستقلة** .

لقد خسرنا المئات من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، ممن هم مثقفون فاقدو الارادة وكولاك ريفيون ؛ وكسبنا الملايين من ممثلي الفلاحين الفقراء * .

---

* كان المؤتمر السادس للسوفييتات (٦-٩ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٨) يتألف من ٩٦٧ مندوبا بصوت تقريري ، بينهم ٩٥٠ بلشفيا ، و٣٥١ مندوبا بصوت استشاري ، بينهم ٣٣٥ بلشفيا . اي ان الحاصل ٩٧ بالمئة من البلاشفة .

ولقد انفجرت الثورة البروليتارية في الأرياف النائية ، بعد مرور سنة على انفجار الثورة البروليتارية في العاصمتين وبتأثيرها ومساعدتها . فوطدت البلشفية والسلطة السوفييتية نهائياً وقدمت الدليل القاطع على أنه ليس من قوة في داخل البلاد تستطيع معارضة البلشفية .

وبعد أن أنجزت البروليتاريا في روسيا الثورة البرجوازية الديموقراطية ، بالتعاون مع الفلاحين بوجه عام ، انتقلت نهائياً الى الثورة الاشتراكية ، اذ نجحت في شق الريف ، واجتذاب البروليتاريين وأنصاف البروليتاريين الريفيين الى صفوفها ، وحشدهم ضد الكولاك والبرجوازية ، بما فيها البرجوازية الفلاحية .

ولو أن البروليتاريا البلشفية في العاصمتين والمراكز الصناعية الكبيرة لم تستطع حشد فقراء الأرياف حولها ، ضد الفلاحين الأغنياء ، لكان أعطي الدليل على أن روسيا لم تكن «ناضجة» للثورة الاشتراكية ، ولكانت طبقة الفلاحين بقيت حينذاك «واحدة» ، أي بقيت تحت قيادة الكولاك ، الأغنياء ، البرجوازية ، اقتصادياً وسياسياً وروحياً ، ولما كانت الثورة خرجت من نطاق الثورة البرجوازية الديموقراطية . (ولكن هذا أيضاً ، — نقول بين هلالين ، — لا يقدم الدليل على أنه كان على البروليتاريا ألا تأخذ السلطة ؛ لأن البروليتاريا وحدها قد سارت فعلاً بالثورة البرجوازية الديموقراطية الى النهاية ؛ والبروليتاريا وحدها فعلت شيئاً جدياً لتعجيل الثورة البروليتارية العالمية ؛ والبروليتاريا وحدها أنشأت الدولة السوفييتية ، الخطوة الثانية بعد الكومونة في طريق الدولة الاشتراكية) .

ومن جهة أخرى ، لو أن البروليتاريا البلشفية حاولت دفعة واحدة ، في تشرين الأول — تشرين الثاني (أكتوبر — نوفمبر) ١٩١٧ ، دون أن تعرف كيف تنتظر بروز الفوارق بين الطبقات في الريف ، دون أن تعرف كيف **تحضّر** هذه العملية وتحققها ؛ لو أنها حاولت أن «تصدر مرسوماً» بالحرب الأهلية أو «يفرض الاشتراكية» في الريف ؛ لو أنها حاولت أن تستغني عن الكتلة (التحالف) المؤقتة مع الفلاحين بوجه عام ، عن القيام بعدد من التنازلات للفلاح المتوسط ، الخ . — ، لكانت حرفت الماركسية على الطريقة **البلانكية** (٦٦) ؛ لكانت محاولتها محاولة **أقلية**

لفرض ارادتها على الأغلبية ؛ لكانت اقترفت سخافة نظرية ؛ لكانت محاولتها دليلاً على انها لم تدرك أن الثورة الفلاحية العامة **لا تزال** بعد ثورة برجوازية ، وأنه يستحيل في بلد متأخر تحويلها الى ثورة اشتراكية ، دون **جملة من المراحل الانتقالية ، من الدرجات الانتقالية** .

وفي هذه المسألة النظرية والسياسية البالغة الأهمية ، شوّش كاوتسكي **كل شيء** ، وأظهر في الواقع بكل بساطة أنه خادم ذليل للبرجوازية يرفع عقيرته بالزعيق ضد ديكتاتورية البروليتاريا .

* * *

ولقد جاء كاوتسكي بالتشوُش نفسه ، ان لم يكن على نطاق أكبر ، في مسألة أخرى على جانب كبير من الطرافة والأهمية ، وهي : هل عمل الجمهورية السوفييتية **التشريعي** فيما يتعلق بالتحويل الزراعي ، — وهو تحويل اشتراكي في أقصى الصعوبة ، وعلى جانب كبير جداً من الأهمية في آن واحد ، — قد تم تنظيمه بصورة صحيحة من حيث مبدؤه وتم تطبيقه بصورة عقلانية ؟ اننا لنكون شاكرين أعظم الشكر لكل ماركسي من أوروبا الغربية **ينتقد** سياستنا بعد أن يطلع على الوثائق الرئيسية على الأقل ، لأنه سيقدم لنا بذلك خدمة جلى ، ومن جهة أخرى يساعد الثورة التي تنضج في العالم كله . ولكن كاوتسكي يقدم لنا ، بدلاً من الانتقاد ، تشوشاً نظرياً لا يصدق ، يُحوّل الماركسية الى ليبيرالية ، وليس عنده ، عملياً ، سوى تهجمات عقيمة ، حقود ، تافهة ، ضيقة الأفق ، ضد البلاشفة . فليحكم القارئ بنفسه :

«لم يكن من الممكن الحفاظ على المُلكية العقارية الكبيرة . هذا ما توصلت اليه الثورة . وقد ظهر هذا بوضوح منذ البدء ؛ فقد كان لا بدّ من نقلها الى السكان الفلاحين . . .» (هذا خطأ ، يا سيد كاوتسكي : انك تحل ما هو «واضح» لك محل ما تفكر به مختلف **الطبقات** عن هذه المسألة ؛ ان تاريخ الثورة قد برهن على أن الحكومة الائتلافية ، حكومة البرجوازيين والبرجوازيين الصغار ، المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، كانت تطبق سياسة قوامها الحفاظ على المُلكية العقارية الكبيرة . والدليل على ذلك

انما قدمه على الأخص قانون س . ماسلوف واعتقال أعضاء لجان الأرض (٦٧) . ولولا ديكتاتورية البروليتاريا ، لما تغلب «السكان الفلاحون» على الملاك العقاري المتحد مع الرأسمالي) .

«. . . ومع ذلك ، لم يكن هناك أي اجماع حول مسألة الشكل الذي ينبغي أن يتم به ذلك .. كانت هناك مختلف الحلول المحتملة . . .» (ان كاوتسكي يهمه أكثر ما يهمه «اجماع» «الاشتراكيين» أيا كان الأشخاص الذين يدعون أنهم اشتراكيون . اما انه لا بدّ للطبقتين الأساسيتين في المجتمع الرأسمالي أن تصلا الى حَلَّيْن مختلفين فهذا ما ينساه .) «. . . فمن وجهة النظر الاشتراكية ، كان الحل الأكثر عقلانيةً يتلخص في تحويل المشروعات الكبيرة الى ملكية الدولة واحالة زراعة الأملاك الكبيرة بشكل جمعيات الى الفلاحين الذين كانوا يعملون فيها حتى ذاك بوصفهم عمالاً أجراء . ولكن هذا الحل يفترض عمالاً زراعيين لا وجود لهم في روسيا . وكان هناك حل آخر مفاده تحويل المُلكية العقارية الكبيرة الى ملكية الدولة ، وتقسيمها حصصاً صغيرةً يستأجرها الفلاحون الذين يملكون القليل من الأرض . وهكذا كان من الممكن أن يتحقق شيء من الاشتراكية . . .»

ان كاوتسكي يتخلص ، كما هو شأنه دائماً ، حسب الصيغة الشهيرة : من جهة ، لا بد من الاعتراف ؛ ومن جهة أخرى ، يجب الاعتراف . انه يضع **جنباً الى جنب** مختلف الحلول دون أن يفكر بالمسألة الواقعية الوحيدة ، الماركسية الوحيدة ، مسألة معرفة **مراحل الانتقال** من الرأسمالية الى الشيوعية في هذه الأوضاع **الخاصة** أو تلك . ففي روسيا أجراء زراعيون ، ولكن عددهم ليس كبيراً ، وكاوتسكي لم يتطرق الى المسألة التي **وضعتها** السلطة السوفييتية ، مسألة ما العمل للانتقال الى زراعة الأرض بشكل كومونات وبشكل جمعيات . غير أن أطرف ما في الأمر ، هو أن كاوتسكي يريد أن يرى «شيئاً من الاشتراكية» في تأجير حصص صغيرة من الأرض . وهذا ، في الواقع ، شعار **برجوازي صغير** ليس فيه **أية ذرة** «من الاشتراكية» . فاذا **لم** تكن «الدولة» التي تؤجر الأرض دولة من طراز الكومونة ، بل جمهورية برجوازية برلمانية (تلك هي

بالضبط فرضية كاوتسكي الدائمة) ، فان تأجير الأرض حصصاً صغيرة لن يكن سوى **اصلاح ليبيرالي** نموذجي .

ان كاوتسكي يلزم الصمت المطبق حول أن السلطة السوفييتية قد ألغت **كل** ملكية للارض . وما هو شر من ذلك ، انه يلجأ الى تشويه لا يصدق بايراده مراسيم السلطة السوفييتية بطريقة يغفل بها الأمر الجوهري .

فبعد أن يعلن كاوتسكي أن «الانتاج الصغير يطمح الى الملكية الخاصة الكاملة لوسائل الانتاج» ، وأن الجمعية التأسيسية من شأنها أن تكون «السلطة الوحيدة» القادرة على منع التقسيم (وهذا قول سيبعث على الضحك الصاخب في روسيا ، لأن كل امرئ يعرف أن العمال والفلاحين يعترفون بالسلطة السوفييتية **فقط لا غير** ، وأن الجمعية التأسيسية أصبحت شعار التشيكوسلوفاكيين والملاكين العقاريين) ، يتابع قائلا :

«ولقد اعلن احد المراسيم الاولى التي اتخذتها الحكومة السوفييتية : ١ — تلغى الملكية الاقطاعية للارض فورا دون اى تعويض . ٢ — توضع املاك الملاكين العقاريين وكذلك جميع اراضي العائلة القيصرية والاديرة والكنيسة ، مع كل ادواتها وماشيتها وابنيتها وكل ما يخصها ، تحت تصرف لجان الارض في النواحي التابعة لسوفييتات نواب الفلاحين في الاقضية ، الى ان تبت الجمعية التأسيسية بمسألة الارض» .

ولا يورد كاوتسكي **الا هاتين الفقرتين** ، ويخلص الى القول :

«ان الاشارة الى الجمعية التأسيسية ظلت حبرا على ورق . وبالفعل ، كان في مستطاع الفلاحين في شتى النواحي ان يفعلوا بالارض ما يطيب لهم» (ص ٤٧) .

هذه نماذج من «انتقاد» كاوتسكي ! هذا عمل «علمي» يشبه التزوير بشكل غريب ! يلقى في ذهن القارئ الألماني أن البلاشفة استسلموا أمام الفلاحين في مسألة المُلكية الخاصة للارض ! وأن البلاشفة تركوا الفلاحين المنفردين يفعلون («حسب النواحي») ما يطيب لهم !

أما في الواقع، فان المرسوم الذي يستشهد به كاوتسكي – وهو أول مرسوم صدر في ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ (حسب التقويم القديم) – لا يتضمن مادتين بل خمس مواد، **يضاف اليها** ثماني مواد من «الوصايا» (٦٨) التي «ينبغي اتخاذها مرشداً»، كما جاء في المرسوم.

تنص المادة ٣ من المرسوم على أن الاستثمارات تنتقل «**الى الشعب**»، وأنه ينبغي وضع «جردة دقيقة لجميع الأملاك المصادرة» وتأمين «الحراسة الثورية الصارمة» عليها! وقد جاء في الوصايا أنه «يلغى الى الأبد حق الملكية الخاصة للارض»، و«**لا توزع**» «الأراضي التي تشتمل على استثمارات عالية المستوى» و«تنتقل كل الماشية والعتاد في الأراضي المصادرة، دون أي تعويض، وتبعاً لحجمها وأهميتها، اما الى الدولة واما الى المشاعات من أجل الانتفاع بها بلا منازع» و«تحول جميع الأراضي الى صندوق اراضي الشعب بأسره».

ثم، وفي نفس الوقت الذي أعلن فيه حل الجمعية التأسيسية (٥–١–١٩١٨)، أقر المؤتمر الثالث للسوفييتات «**اعلان حقوق** الشعب الشغيل والمستثمَر»، المدرج حالياً في القانون الأساسي للجمهورية السوفييتية. وتنص المادة ٢ من هذا الاعلان، في فقرتها الأولى، على «الغاء الملكية الخاصة للارض» وعلى «اعلان الأملاك العقارية والاستثمارات الزراعية النموذجية ملكية وطنية».

وبالتالي، **لم** تبق الاشارة الى الجمعية التأسيسية حبراً على ورق، اذ أن مؤسسة تمثيلية أخرى تمثل الشعب بأسره، تتمتع عند الفلاحين بسلطة أكبر بما لا حد له، قد أخذت على نفسها حل المسألة الزراعية.

ثم، في ٦ (١٩) شباط (فبراير) ١٩١٨، صدر القانون حول جعل ملكية الأرض ملكية اجتماعية، فجاء يؤكد، مرة اخرى، الغاء كل ملكية للارض ويعهد بادارة الأراضي **وجميع** الأدوات في **الملكيات الخاصة** الى السلطات السوفييتية، **تحت رقابة السلطة السوفييتية الاتحادية**؛ اما مهمة هذه الادارة، فهي:

«تطوير الاستثمارات الزراعية الجماعية باعتبارها أكثر فائدة من

حيث اقتصاد العمل والمنتجات ، على حساب الاستثمارات الفردية ، بغية الانتقال الى الاقتصاد الاشتراكي» (المادة ١١ ، الفقرة هـ) .

وعلى السؤال الأساسي : «من يحق له التمتع بالأرض ؟» ، أجاب هذا القانون ، اذ أقر الانتفاع **المتساوي** بالأرض ، كما يلي :

(المادة ٢٠) . «في حدود جمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية ، ينتفع بحصص الاراضي — من اجل تامين الحاجات العامة والشخصية : أ — اغراض التثقيف والتنوير : ١ — الدولة الممثلة بهيئات السلطة السوفييتية (في عموم الاتحاد ، وفي المقاطعة ، والمحافظة ، والقضاء ، والناحية والقرية) . ٢ — المنظمات العامة (باشراف واذن السلطة السوفييتية المحلية) . ب — لاغراض الزراعة : ٣ — الكومونات الزراعية . ٤ — التعاونيات الزراعية . ٥ — الجمعيات الريفية . ٦— العائلات او الافراد . . .»

وهكذا يرى القارئ أن كاوتسكي قد حرّف الأمور كلياً ؛ فقد عرض على القارئ الألماني ، بصورة خاطئة اطلاقاً ، ما استنته الدولة البروليتارية في روسيا من سياسة زراعية وتشريع زراعي .

أما المسائل النظرية الهامة ، الأساسية ، فان كاوتسكي لم يعرف حتى كيف يطرحها !

وهذه المسائل هي التالية :

١ — الانتفاع المتساوي بالأرض .

و٢ — تأميم الأرض ، — علاقة كل من هاتين المسألتين مع الاشتراكية بوجه عام ومع الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية بوجه خاص .

٣ — التعاون في فلاحة الأرض ، بوصفه انتقالاً من الزراعة الصغيرة المجزأة الى الزراعة الكبيرة الاجتماعية . فهل طرح هذه المسألة في التشريع السوفييتي ينطبق على مقتضيات الاشتراكية ؟

وبصدد المسألة الأولى ، تجدر الاشارة بالدرجة الأولى الى الواقعين الأساسيين التاليين : ١ — منذ دراسة تجربة عام ١٩٠٥ (اني أستشهد مثلاً بمؤلفي عن المسألة الزراعية في الثورة الروسية الأولى) (٦٩) ، نوّه البلاشفة بالأهمية

الديموقراطية التقدمية والديموقراطية الثورية لشعار التساوي ، وتحدثوا عن هذا بصراحة تامة في عام ١٩١٧ ، قبل ثورة أكتوبر ؛ ب – ان البلاشفة اذ طبقوا قانون جعل ملكية الأرض ملكية اجتماعية ، – و«روح» هذا القانون هو شعار الانتفاع المتساوي بالأرض ، – قد أعلنوا بمنتهى الدقة والوضوح : هذه الفكرة ليست فكرتنا ، ونحن لا نوافق على شعار كهذا ، ولكننا نرى من واجبنا أن نطبقه ما دام مطلب الأغلبية الساحقة من الفلاحين . والحال ، ان أفكار ومطالب أغلبية الشغيلة ، انما ينبغي أن **يتخلوا** عنها **بأنفسهم** : فلا يجوز «الغاؤ»ها ولا «القفز» من فوقها . ونحن البلاشفة **سنساعد** الفلاحين على التخلي عن الشعارات البرجوازية الصغيرة ، على **الانتقال** بأسرع وأسهل ما يمكن الى الشعارات الاشتراكية .

ان النظري الماركسي ، الذي يود لو يساعد الثورة العمالية بتحليله العلمي ، انما يتعين عليه أن يجيب أولاً عما اذا كان من الصحيح ان فكرة الانتفاع المتساوي بالأرض تتسم بأهمية ديموقراطية ثورية ، بمعنى السير بالثورة **البرجوازية** الديموقراطية الى النهاية . ثم ، هل كان البلاشفة على حق حين مرروا بأصواتهم القانون البرجوازي الصغير حول التساوي (وتقيدوا به بمنتهي الأمانة) ؟

ان كاوتسكي لم يعرف حتى كيف **يرى** أين تقوم نظرياً عقدة المسألة !

وما كان في مقدور كاوتسكي قط أن يدحض الفكرة القائلة ان للتساوي أهمية تقدمية ثورية في الانقلاب البرجوازي الديموقراطي . ان هذا الانقلاب لا يستطيع المضيُ أبعد من ذلك . وهو اذ يمضي الى النهاية ، يبرهن أمام الجماهير **بمزيد من الوضوح والسرعة والسهولة عدم كفاية** الحلول البرجوازية الديموقراطية وضرورة الخروج من نطاقها ، والانتقال الى **الاشتراكية** .

ان الفلاحين الذين أسقطوا القيصرية والملاكين العقاريين يحلمون بالتساوي ، وما من قوة في العالم تستطيع الوقوف في وجه الفلاحين المتحررين من الملاكين العقاريين والدولة **البرجوازية** البرلمانية ، الجمهورية . ان البروليتاريين يقولون

للفلاحين : سنساعدكم على بلوغ رأسمالية «مثالية» لأن التساوي في الانتفاع بالأرض انما هو اضفاء صفة المثالية على الرأسمالية من وجهة نظر المنتج الصغير . وسنبين لكم في الوقت نفسه عدم كفاية هذا الاجراء ، وضرورة الانتقال الى التعاون في فلاحة الأرض .

لقد كان من الطريف أن نرى أي مسلك سيسلكه كاوتسكي لدحض صحة **مثل هذه** القيادة لنضال الفلاحين من جانب البروليتاريا !

ولكن كاوتسكي فضل التهرب من المسألة . . .

ثم ، انه خدع القراء الألمان فعلاً حين أخفى عنهم أن السلطة السوفييتية قد منحت الكومونات والجمعيات الأفضلية **بكل وضوح في القانون** عن الأرض ، اذ وضعتها في المرتبة الأولى .

مع الفلاحين ، الى نهاية الثورة البرجوازية الديموقراطية ؛ مع الفئة الفقيرة ، البروليتارية وشبه البروليتارية ، من الفلاحين الى الأمام نحو الثورة الاشتراكية ! تلك كانت سياسة البلاشفة ، وكانت تلك السياسة الماركسية الوحيدة .

والحال ، يتلبك كاوتسكي ، عاجزاً عن طرح أي سؤال ! فهو من جهة لا **يجرؤ** على القول انه يتعين على البروليتاريا الافتراق عن الفلاحين بصدد قضية التساوي ، لأنه يشعر بخراقة مثل هذا الافتراق (ناهيك عن ان كاوتسكي قد دافع في عام ١٩٠٥ ، أي قبل أن يصير مرتداً ، دفاعاً واضحاً صريحاً عن تحالف العمال والفلاحين بوصفه شرطاً لانتصار الثورة) . وهو ، من جهة أخرى ، يستشهد ، بحنان ، بالسخافات الليبيرالية للمنشفي ماسلوف الذي «يبرهن» طابع المساواة البرجوازية الصغيرة الطوباوي والرجعي من **وجهة نظر الاشتراكية** ولا يتطرق بكلمة الى الطابع التقدمي والثوري الذي يتسم به النضال البرجوازي الصغير من أجل المساواة ، من أجل التساوي ، **من وجهة نظر الثورة البرجوازية الديموقراطية** .

ولذا ينجم التشوش دائماً عند كاوتسكي . ولاحظوا أن كاوتسكي (في عام ١٩١٨) **يصر** على طابع الثورة الروسية **البرجوازي** . وكاوتسكي (في عام ١٩١٨) يطالب قائلاً : لا تخرجوا

من هذا النطاق ! وهذا الكاوتسكي نفسه يرى «شيئاً من الاشتراكية» (من أجل الثورة **البرجوازية**) في الاصلاح **البرجوازي الصغير** ، في تأجير الفلاحين **الفقراء** حصصاً صغيرة من الأرض (أي في الاقتراب من التساوي) ! !

فليفهم من يقدر على الفهم !

وفضلاً عن ذلك ، يقدم كاوتسكي الدليل على عجز تافه ضيق الأفق عن حسبان الحساب للسياسة الفعلية التي ينتهجها حزب معني . فهو يورد **أقوال** المنشفي ماسلوف **ولا يريد أن يرى** سياسة الحزب المنشفي **الفعلية** في عام ١٩١٧ ، حين «ائتلف» هذا الحزب مع الملاكين العقاريين والكاديت ، ودافع فعلاً عن **الاصلاح الزراعي الليبيرالي والتفاهم مع الملاكين العقاريين** (الدليل : اعتقال أعضاء اللجان الزراعية ومشروع قانون س . ماسلوف) .

ولم يلحظ كاوتسكي أن أقوال ب . ماسلوف عن طابع المساواة البرجوازية الصغيرة الرجعي والطوباوي كانت تخفي في الواقع السياسة المنشفية التي ترمي الى تحقيق **توافق** بين الفلاحين والملاكين العقاريين (أي الى خداع الفلاحين من قبل الملاكين العقاريين) ، بدلاً من أن تهدف الى اسقاط الملاكين العقاريين من قبل الفلاحين عن طريق **الثورة** .

«ماركسي» ظريف ، هذا الكاوتسكي !

ان البلاشفة بالذات هم الذين ميزوا تمييزاً دقيقاً بين الثورة البرجوازية الديموقراطية والثورة الاشتراكية : فبالسير بالأولى الى النهاية ، فتحوا الباب للثانية . وتلك هي السياسة الثورية الوحيدة ، السياسة الماركسية الوحيدة .

وعبثاً يردد كاوتسكي نكات الليبيراليين الغثة : «ان الفلاحين الصغار لم ينتقلوا قط في أي مكان كان الى الانتاج الجماعي بفعل العقائد النظرية» (ص ٥٠) .

ما أذكى وأظرف !

ان الفلاحين الصغار في بلد كبير لم يكونوا قط وفي أي مكان كان ، تحت تأثير دولة بروليتارية .

ان الفلاحين الصغار لم يبلغ بهم الأمر قط وفي أي مكان كان ، الى النضال الطبقي السافر بين الفلاحين الفقراء والفلاحين

الأغنياء ، بما في ذلك الحرب الأهلية فيما بينهم ، حيث كان الفلاحون الفقراء حظوا بالتأييد الفكري والسياسي والاقتصادي والعسكري من سلطة الدولة البروليتارية .

ان الحرب لم تغن قط وفي أي مكان كان ، الى هذا الحد ، المضاربين والأغنياء ، وتخرب في الوقت نفسه جماهير الفلاحين الى هذا الحد .

وكاوتسكي يلوك الأفكار العتيقة ، ويجتر علفاً قديماً ، خائفاً من مجرد التفكير بالمهام الجديدة الموضوعة أمام ديكتاتورية البروليتاريا .

واذا لم يكن عند الفلاحين ، يا صاحبنا اللطيف كاوتسكي ، ما يكفي من الأدوات للانتاج الصغير وساعدتهم الدولة البروليتارية في الحصول على الآلات من أجل فلاحة الأرض بصورة جماعية ، فهل هذه «عقيدة نظرية» ؟ — — —

لننتقل الى قضية تأميم الأرض . ان أصحابنا الشعبيين ، بمن فيهم جميع الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، ينكرون أن يكون التدبير الذي تحقق عندنا هو تأميم الأرض ؛ انهم يقترفون خطأ نظرياً . فما دمنا في نطاق الانتاج البضاعي والرأسمالية ، فان الغاء الملكية الخاصة للارض انما يعني تأميمها . أما تعبير «جعل الملكية اجتماعية» فانه لا يعبر الا عن ميل ، عن رغبة ، عن تحضير الانتقال الى الاشتراكية .

وعليه ، أي موقف ينبغي أن يقفه الماركسيون من تأميم الأرض ؟

هنا أيضاً ، لا يعرف كاوتسكي كيف يطرح المسألة النظرية أو انه — وهذا أدهى — يتهرب قصداً من المسألة ، مع أنه يعرف — وهذا معروف من المنشورات الروسية ، — عن المناقشات القديمة بين الماركسيين الروس حول قضية تأميم الأرض وجعل الأرض ملكاً للبلديات (تسليم الأملاك العقارية الكبيرة للادارات المحلية ذات الاستقلال الذاتي) ، وتوزيع الأرض .

وانه لسخرية حقيقية من الماركسية هذا التأكيد الذي تقدم به كاوتسكي والذي يزعم أن تسليم الدولة الأملاك العقارية الكبيرة وتأجيرها حصصاً صغيرة من الفلاحين الذين عندهم

قلة من الأرض ، من شأنهما أن يحققا «شيئاً من الاشتراكيـــة» . ولقد سبق لنا وأوضحنا أن ليس فــي هذا التدبيـــر أي شيء اشتراكي . ناهيك عن انه لا ينطوي على أي شيء مـــن الثورة **البرجوازية الديموقراطية** السائرة الى النهاية . ومصيبة كاوتسكي الكبرى أنه وثق بالمناشفة ، مما أدى الى هذا الواقع الطريـــف : ان كاوتسكي ، الذي يدافع عن طابع ثورتنا البرجوازي ، ويلوم البلاشفة على انهم اعتزموا فجأة السير نحو الاشتراكية ، يعرض **بنفسه** اصلاحاً ليبيرالياً على انه تدبير اشتراكي ، **دون أن يسير بهذا الاصلاح** الى حد القضاء التام على جميع بقايا القرون الوسطى في علاقات الملكية العقارية ! وهكذا تبين ان كاوتسكي ، مثله مثل مستشاريه المناشفة ، يدافع عن البرجوازية الليبيراليـــة التي تخشى الثورة ، بدلاً من أن يدافع عن الثورة البرجوازيـــة الديموقراطية السائرة الى النهاية .

وبالفعل ، لماذا تحوّل الأملاك العقارية الكبيرة وحدها لا كل الأراضي الى ملكية وطنية ؟ لأن البرجوازية الليبيراليـــة تتوصل بذلك الى الحفاظ على الحد الأقصى من الأوضاع السابقـــة (أي على الحد الأدنى من الاستقامـــة في الثورة) وعـــلى اكبر التسهيلات للعودة الى هذه الأوضاع . بينـــا البرجوازيـــة الراديكالية ، أي البرجوازية التي تسير بالثورة البرجوازية الى النهاية ، ترفع شعار **تأميم الأرض** .

في مرحلـــة سحيقـــة جداً ، – منذ ما يقرب من عشريـــن سنة ، – كتب كاوتسكـــي مؤلفاً ماركسياً ممتازاً عن المسألة الزراعية . فهو لا يستطيع اذن أن يجهل اشارات ماركس الى أن تأميـــم الأرض هـــو بالضبط شعـــار **منسجم** من شعارات **البرجوازية** (٧٠) . ولا يمكن لكاوتسكي أن يجهل مناظـــرة ماركس مع رودبرتوس ، وايضاحاته الرائعـــة في مؤلفـــه «نظريات القيمة الزائدة» ، حيـــث بيّن بصورة أخاذة الأهميـــة الثورية ، بالمعنى البرجوازي الديموقراطي ، لتأميم الأرض .

ان المنشفي ب . ماسلوف ، الذي اختاره كاوتسكي ، لسوء الحظ ، مستشاراً له ، قد أنكر أن يكون في مقدور الفلاحين الروس أن يوافقوا على تأميـــم الأرض كلها (بما فيهـــا أرض الفلاحين) . ان مفهوم ماسلوف هذا يمكن ربطه ، الى حد مـــا ،

بنظريته «الأصيلة» (التي تكرر الانتقادات البرجوازية لماركس) أي بانكاره للريـــع المطلق والاقرار بـ«قانون» (أو «واقع» ، حسب تعبير ماسلوف) «تناقص خصب التربة» .

أما في الواقع ، فقـــد تبين حتى في عهـد ثورة ١٩٠٥ ، أن الأغلبية الساحقة من الفلاحين في روسيا — المشاعيين والفرديين على حد سواء — كانوا يؤيدون تأميم جميع الأراضي . وقـد جاءت ثورة ١٩١٧ تؤكد هذا الأمر ، وتحققه بعد وصول البروليتاريـــا الى الحكم . وظل البلاشفة أمناء للماركسيـة : فلم يسعـوا قط (خلافاً لما يزعمه كاوتسكي الذي يتهمنا بهذا المسعي ، دون أن يأتي بأي دليـــل) الى «القفز» من فوق الثورة البرجوازيـــــة الديموقراطية . ففي بادىء الأمر ، ساعد البلاشفة أشـــــد المفكرين البرجوازيين الديموقراطيين لطبقـــة الفلاحين نزعـــة راديكالية ، وأوفرهم ثورية ، وأكثرهم قرباً من البروليتاريـا ، أي الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، على تحقيـــق ما كان فـي الواقع تأميم الأرض . فان الملكية الخاصة للارض قد ألغيـت في روسيا منذ ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ ، أي منذ اليوم الأول للثورة البروليتارية ، الاشتراكية .

هكذا وضع الأساس الأكمل لتطور الرأسمالية (وهذا ما لا يستطيع كاوتسكي انكاره دون القطيعة مع تعاليم ماركس) ، كما أقيم في الوقت نفسه النظام الزراعي **الاكثر مرونة** للانتقـال الى الاشتراكية . فمن وجهة النظر البرجوازية الديموقراطيـــة ، **لا يمكن** للفلاحين الثوريين الروس **المضي أبعد من ذلـــك : فلا يمكن أن يكون ثمة** شيء أكثر «مثالية» من وجهة النظر هذه ، وأوفر «راديكالية» (من وجهة النظر ذاتها) من تأميم الأرض والانتفـــاع المتساوي بها . ان البلاشفة ، والبلاشفة وحدهم ، هم الذين ، بفضل انتصار الثورة **البروليتارية** فقط ، ساعدوا الفلاحين عـلى أن يسيروا فعلاً بالثورة البرجوازية الديموقراطية الى النهاية . وعلى هذا النحو فقط فعلوا أقصى ما يمكن من أجـل تسهيـــل وتعجيل الانتقال الى الثورة الاشتراكية .

وعليه يمكننا أن نكوّن فكرة عن التشوّش البالغ الذي لا يصدق والذي يقدمه كاوتسكي لقرائه ، حين يتهم البلاشفة بأنهم لا يدركون طابـــع الثورة البرجوازي وينحرف هو ذاتـــه عـن

الماركسية الى حد **لزوم الصمت** حول تأميـــم الأرض وعرض الاصلاح الزراعـــي الليبيرالي الأقل ثوريـــة (مـن الناحيـــة البرجوازية) على أنه «شيء من الاشتراكية» ! — —

ونصل هنا الى المسألة الثالثة من المسائل التي طرحناهـــا آنفاً فالمقصود أن نعرف الى أي حد أخـــذت ديكتاتوريـــة البروليتاريا في روسيا بعين الاعتبار ضرورة الانتقال الى التعاون في فلاحة الأرض . وهنا أيضاً يقترف كاوتسكي جرماً يشبـــه التزوير شبهاً غريبـــاً : فهو لا يورد الا «موضوعات» بلشفـــي تتناول مهمة الانتقال الى فلاحة الارض بصورة جماعية ! فبعـــد أن أورد صاحبنـــا «النظري» احدى هذه الموضوعـــات ، صاح صيحة النصر وقال :

«ان مجرد الاعلان عن شيء معروف بانه مهمة ، لا يعني ، ويا للأسف ، انه تم تنفيذ هذه المهمة . ان الزراعة الجماعية في روسيا لا يزال محكوما عليها ، حتى الآن ، بالبقاء حبرا على ورق . ان الفلاحين الصغار لم ينتقلوا قط في اى مكان كان الى الانتاج الجماعي بفعل العقائـــد النظريـــة» (ص ٥٠) .

لم يحدث قط في أي مكان كان مثل هذا الغش الأدبي الذي انزلق اليه كاوتسكي . فهو يورد «موضوعات» ، ولكنه لا ينبس بكلمة عن **قانون** السلطة السوفييتية . وهو يتحدث عن «العقيدة النظرية» ، ولكنه لا ينبس بكلمة عن سلطة الدولة البروليتارية التي تملك المصانـــع والبضائـــع ! وكل ما كتبه الماركســـي كاوتسكي عام ١٨٩٩ في «المسألة الزراعية» حول الوسائل التي تتوافر للدولة البروليتارية من أجل نقل الفلاحين الصغار تدريجياً الى الاشتراكية انما نسيه المرتد كاوتسكي عام ١٩١٨ .

ان بضع مئات من الكومونات الزراعيـــة والاستثمارات السوفييتية (أي الاستثمارات الكبيرة التي تزرعها جمعيات مـــن العمال على حساب الدولة) التي تدعمها الدولة ، هو ، بالطبـــع ، شيء قليل جداً . ولكن هل يمكن تسمية تجنب كاوتسكي لهذا الواقع «انتقاداً» ؟

ان تأميم الأرض الذي قامت به ديكتاتورية البروليتاريا في روسيـــا كان خير اجراء أمّن اتمام الثورة البرجوازيـــة

الديموقراطية ، حتى ولو أعادنا انتصار الثورة المضادة من التأميم الى التوزيع (لقد حللت هذا الاحتمال بوجه خاص في كتاب حول برنامج الماركسيين الزراعي في ثورة ١٩٠٥) . وفضلاً عن ذلك ، أعطى تأميم الأرض الدولة البروليتارية الحد الأقصى من الامكانيات لأجل الانتقال الى الاشتراكية في الزراعة .

لنوجز : ان كاوتسكي يقدم لنا ، في حقل النظرية ، خليطاً لا يصدق ، يتصف بالتخلي التام عن الماركسية ؛ أما في حقل التطبيق العملي ، فانه يعرض استذلاله أمام البرجوازية والاصلاحية البرجوازية . فما أجمل هذا الانتقاد ، حقاً !

* * *

يبدأ كاوتسكي «التحليل الاقتصادي» للصناعة بالمحاكمة الرائعة التالية :

في روسيا صناعة رأسمالية كبيرة . أفلا يمكن بناء الانتاج الاشتراكي على هذا الأساس ؟ «يمكن الاعتقاد بذلك ، لو أن الاشتراكية تتلخص في اقدامعمال هذه المناجم والمصانع أو تلك على أخذها ملكاً لهم» (حرفياً : على استملاكها) «قصد استغلال كل منها على حدة» (ص ٥٢) . ويضيف كاوتسكي قائلاً : «واليوم بالضبط ، في ٥ آب (أغسطس) بينا أكتب هذه الأسطر جاء من موسكو خبر عن خطاب ألقاه لينين في ٢ آب وقال فيه ، كما جاء في الخبر : «ان العمال يمسكون المصانع في أيديهم بقوة ، ولن يعيد الفلاحون الأرض للملاكين العقاريين» . ان شعار «المصنع للعمال ، الأرض للفلاحين» لم يكن حتى الآن شعاراً اشتراكياً ـ ديموقراطياً ، بل شعاراً فوضوياً نقابياً» (صص ٥٢–٥٣) .

لقد نقلنا هذا المقطع بكليته لكي يتمكن العمال الروس الذين كانوا يحترمون كاوتسكي فيما مضى – وعلى حق – من أن يتحققوا بأنفسهم من أساليب هذا الفار الذي انتقل الى صفوف البرجوازية .

فكروا قليلاً : في ٥ آب ، حين كان قد صدر عدد كبير من المراسيم حول تأميم المصانع في روسيا ، وحين كان العمال لم «يستملكوا» بعد أيا من هذه المصانع ، بل كانت **كلها** قد غدت

ملكاً للجمهورية ، في ٥ آب ، يستند كاوتسكي الى تفسير ظاهر الغش لجملة وردت في خطابي ويوحي للقارىء الألماني فكرة أن المصانع في روسيا تنقل الى هؤلاء العمال أو أولئك ! وبعد هذا ، خلال عشرات وعشرات من الأسطر ، يكرر كاوتسكي ويلوك ويجتر قائلاً بأنه لا يجوز تسليم المصانع الى العمال فرداً فرداً !

ليس هذا انتقاداً بل أسلوب خادم ذليل للبرجوازية ، استأجره الرأسماليون للافتراء على ثورة العمال .

ينبغي نقل المصانع الى الدولة أو الى المشاعة ، أو الى جمعيات الاستهلاك ، هكذا كتب كاوتسكي أيضاً وأيضاً . ثم أضاف في النهاية قائلاً :

«ان هذا السبيل هو ما يسعون الآن الى اتباعه في روسيا . . .» الآن ! ! ما هذا القول ؟ في آب ؟ ترى ، ألم يكن في وسع كاوتسكي أن يطلب من شتين واكسلرود أو غيرهما من أصدقاء البرجوازية الروسية أن يترجموا له مرسوماً عن المصانع على الأقل ؟

«. . . اما الى اين وصلوا ، فهذا ما لا نراه حتى الآن . ان هذه الناحية من الجمهورية السوفييتية هي في كل حال على اكبر جانب من الاهمية بالنسبة لنا ، ولكنها لا تزال تضيع كليا في الظلمات . ليس هناك نقص في المراسيم . . . .» (ولهذا يجهل كاوتسكي **محتواها** او يخفيه عن قرائه !) «ولكنه ليست هناك معلومات كافية مضمومة عن مفعول هذه المراسيم . ان الانتاج الاشتراكي مستحيل دون احصاء واسع ، مفصل ، امين ، سريع الاعلام . وهذا ما لم تستطع الجمهورية السوفييتية ان تنشئه حتى الآن . وما نعلمه عن نشاطها الاقتصادى ، في منتهى التناقض ويستحيل التحقق منه . وتلك ايضا احدى نتائج الديكتاتورية وسحق الديموقراطية . فليس هناك لا حرية صحافة ولا حرية كلام . . .» (ص ٥٣) .

هكذا يُكتب التأريخ ! في الصحافة «الحرة» ، صحافة الرأسماليين وأنصار دوتوف ، كان بامكان كاوتسكي أن يستقي المعلومات عن المصانع التي تنتقل الى العمال . . . في الحقيقة ، هذا «العالم الجدي» القابع فوق الطبقات ، الرائع حقاً ! ان كاوتسكي لا يريد أن يعرف شيئاً عن الوقائع التي لا تحصى والتي تشهد على أن المصانع تنقل الى الجمهورية **وحدها** ،

وانها تديرهـــا هيئة تابعة لسلطة السوفييتات ، هـــي المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني ، الذي يتألف بصورة رئيسية مـــن مندوبين عن نقابات العمال . وهو لا يفعل غير أن يردد بعناد ، باصرار «الرجل المعلّب» : اعطوني ديموقراطية مسالمـــة ، دون حرب أهلية ، دون ديكتاتورية ، مع احصاء صالح (لقد أنشأت الجمهورية السوفييتية مصلحة احصاء ، تضم خيرة الاحصائيين فـــي روسيا ، ولكنه غني عن البيان أنه يستحيل الحصول بسرعة على احصاء مثالي) . والخلاصة ، أن ما يطلبه كاوتسكي ، انمـــا هو ثورة بدون ثورة ، بدون نضال ضار ، بدون عنف ، فكأنه يطلب اضراباً لا يرافقه انفلات المشاعر والأهواء عند العمال وأربـــاب العمل . فحاول التمييز بين مثل هذا «الاشتراكي» وأي موظـــف ليبيرالي عادي !

ويستند كاوتسكي الى هذه «المواد الواقعيـــة» ، أي انـــه يغفل قصداً الوقائـــع الكثيرة بمنتهـــى الازدراء و«يخلص» الى القول :

«من المشكوك فيه ان تكون البروليتاريا الروسية قد حصلت فـــي الجمهورية السوفييتية من حيث المنجزات العملية الحقيقة لا من حيـــث المراسيم ، على اكثر مما كان من الممكن ان تتلقاه من الجمعية التأسيسية التي كانت الهيمنة فيها ، مثلها مثل السوفييتات ، لنفر من الاشتراكيين وان من لون آخر» (ص ٥٨) .

درة وأية درة ، أليس كذلك ؟ اننا ننصح المعجبين بكاوتسكي أن ينشروا هذه المحاكمة بين العمال الروس على أوســـع نطاق ممكن . ففي الحقيقة ، ما كان في وسع كاوتسكي أن يقدم خيراً من هذه المستندات لتقدير عمـــق انحطاطـــه السياســـي . ان كيرنسكي ، أيها الرفاق العمال ، كان ، هو أيضاً ، «اشتراكياً» ولكن «من لون آخر» ! ان المؤرخ كاوتسكي يكتفي بالنعـــت ، باللقـــب الذي «استملكـــه» الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون والمناشفة . وأما الوقائع التي تبين أن المناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين كانوا ، في عهد كيرنسكي ، يؤيدون السياسة الامبريالية وسرقات البرجوازية واختلاساتهـــا ، فان المؤرخ كاوتسكي لا يريد أن يعرف عنها شيئاً . أما أن تكون الجمعيـــة

التأسيسية قد أعطت الأكثرية لهؤلاء الأبطال ، أبطال الحـــرب الامبريالية وديكتاتورية البرجوازية ، فهذا ما يلزم الصمت حولـه بتواضع . وهذا ما يريده أن يكون «تحليلاً اقتصادياً» ! . .

وختاماً ، اليكم نموذجاً آخر من هذا «التحليل الاقتصادي» :

«. . . لقد اضطرت الجمهورية السوفييتية ، بعد مرور تسعة اشهر على وجودها ، ان توضح مصدر الفاقة العامة بدلاً من ان توسع الرفاه العام» (ص ٤١) .

لقد عوّدنا الكاديت على هذا النوع من المحاكمات . وهكذا يحاكم جميع خدم البرجوازية في روسيا . فهم يقولون : اعطونـا الرفاه العام بعد تسعة أشهر ، – بعد أربع سنوات من حرب مدمّرة ، في حين يقدم الرأسمال الأجنبي مساعدة شاملة لأعمال التخريب والانتفاضات التي تقوم بها البرجوازية في روسيـــا . **وبالفعل** ، لم يبق أي فرق ، لم يبق أي ظل لفرق بين كاوتسكي والبرجوازي المعادي للثورة . ان الخطب المعسولة ، المقنعـــة «بالاشتراكـــة» تردد ما يقوله أنصـــار كورنيلوف ودوتوف وكراسنوف في روسيا بفظاظة ودون تنميق ودون لف ودوران .

* * *

هذه الأسطر السابقة كتبت في ٩ تشرين الثاني (نوفمبـــر) ١٩١٨ . وفي ليلة ٩ الى ١٠ ، جاء من ألمانيا نبأ انطلاق الثورة الظافرة ، اولاً في كييل وفي سائر مدن الشمال والساحل ، حيث انتقلت السلطة الى ايدي سوفييتات نواب العمال والجنود ، ثـم في برلين ، حيث اخذ السوفييت ايضاً بيده زمام السلطة .

وهكذا لم تبق ثمة أية حاجة الى الخاتمة التي تبقى علـيّ كتابتها من أجل كراسي عن كاوتسكي والثورة البروليتارية .

١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨

ن . لينين

المجلد ٣٧ ،
ص ٢٣٥–٣٣١

الملحق الاول

موضوعات عن الجمعية التأسيسية

١ – ان طلب عقد الجمعية التأسيسية قد اندرج بصورة شرعية تماماً في برنامج الاشتراكية-الديموقراطية الثورية لأن الجمعية التأسيسية في الجمهورية البرجوازية هي اعلى اشكال الديموقراطية ولأن الجمهورية الامبريالية برئاسة كيرنسكي كانت ، وهي تنشىء البرلمان التمهيدي ، تهيىء تزوير الانتخابات بالاضافة الى عدد من الانتهاكات للديموقراطية .

٢ – ان الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ، اذ عرضت مطلب عقد الجمعية التأسيسية ، قد اشارت غير مرة ، منذ بدء بادىء الثورة عام ١٩١٧ ، الى ان جمهورية السوفييتات هي شكل للديموقراطية اعلى من الجمهورية البرجوازية العادية المرفقة بجمعية تأسيسية .

٣ – من اجل الانتقال من النظام البرجوازي الى النظام الاشتراكي ، من اجل ديكتاتورية البروليتاريا ، ليست جمهورية سوفييتات (نواب العمال والجنود والفلاحين) مجرد شكل نموذج اعلى من نماذج المؤسسات الديموقراطية (بالقياس الى الجمهورية البرجوازية العادية ذات الجمعية التأسيسية كتتويج لها) ، بل هي ايضاً الشكل الوحيد القادر على تأمين الانتقال الى الاشتراكية بأقل الآلام .

٤ – ان عقد الجمعية التأسيسية في ثورتنا حسب اللوائح المقدمة في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ يجري في ظروف تنفي امكانية التعبير الصحيح عن ارادة الشعب على العموم والجماهير الكادحة على الخصوص ، بواسطة الانتخابات الى هذه الجمعية التأسيسية .

٥ – اولاً ، ان نظام الانتخابات النسبي لا يعبر حقاً عن ارادة الشعب الا اذا كانت اللوائح الحزبية تتفق وانقسام

الشعب حقاً وفعلاً الى تلك الكتل الحزبية التي انعكست في هذه اللوائح . اما عندنا ، فان الحزب الذي كان يملك منذ ايار (مايو) حتى تشرين الاول (اكتوبر) العدد الاكبر من الانصار في صفوف الشعب وخاصة في صفوف الفلاحين ، وهو حزب الاشتراكيين-الثوريين ، قد قدم ، كما هو معروف ، لوائح موحدة الى الجمعية التأسيسية في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ولكنه انشق في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ بعد الانتخابات الى الجمعية التأسيسية وقبل انعقادها .

وبحكم هذا ، لا يوجد ولا يمكن ان يوجد حتى تناسب شكلي بين ارادة الناخبين ككل وقوام المنتخبين الى الجمعية التأسيسية .

٦ – ثانياً ، هناك مصدر أهم ، غير شكلي ، غير حقوقي ، بل اجتماعي واقتصادي ، طبقي لعدم التناسب بين ارادة الشعب وخاصة ارادة الطبقات الكادحة من جهة وقوام الجمعية التأسيسية من جهة اخرى ، هو واقع ان الانتخابات الى الجمعية التأسيسية جرت عندما لم يكن بعد في مستطاع اغلبية الشعب الساحقة ان تعرف كل مدى واهمية ثورة اكتوبر ، السوفييتية ، البروليتارية الفلاحية ، التي ابتدأت في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، اي بعد تقديم لوائح المرشحين الى الجمعية التأسيسية .

٧ – ان ثورة اكتوبر ، اذ تظفر بالسلطة من اجل السوفييتات ، وتنتزع السيطرة السياسية من ايدي البرجوازية وتضعها في ايدي البروليتاريا والفلاحين الفقراء ، تعيش امام انظارنا مراحل متعاقبة من تطورها .

٨ – بدأت الثورة بالنصر في ٢٤–٢٥ اكتوبر في العاصمة ، عندما عمد مؤتمر السوفييتات الثاني لنواب العمال والجنود في عامة روسيا – لهذه الطليعة للبروليتاريين والقسم الانشط سياسياً من الفلاحين – واعطى حزب البلاشفة الهيمنة ووضعه في دست الحكم .

٩ – ثم شملت الثورة في بحر شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وشهر كانون الاول (ديسمبر) كل جمهور الجيش والفلاحين ، وتجلت قبل كل شيء في ازاحة واعادة انتخاب المنظمات العليا القديمة (لجان الجيش ، اللجان الفلاحية في المحافظات ، اللجنة

التنفيذية المركزية لسوفييت نواب الفلاحين في عامة روسيا ، الخ .) التي كانت تعبر عن صفحة مطوية من الثورة ، هي صفحة التوافق ، عن مرحلتها البرجوازية لا البروليتارية ، والتي كان لا بدّ لها حتماً لهذا السبب ان تولي عن المسرح تحت ضغط جماهير من الشعب اعمق واوسع .

١٠ – ان هذه الحركة الجبارة ، حركة الجماهير المستثمَرة نحو اعادة انشاء الهيئات القيادية لمنظماتها لم تنته بعد حتى الآن ، في منتصف كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ ، ومؤتمر عمال السكك الحديدية الذي لم ينته بعد هو واحدة من مراحلها .

١١ – ان تكتل القوى الطبقية في روسيا في غمرة نضالها الطبقي يجري بالتالي ، في الواقع ، في تشرين الثاني وكانون الاول (نوفمبر وديسمبر) ١٩١٧ بصورة تختلف مبدئياً عن الصورة التي كان يمكن لها ان تجد تعبيراً عنها في اللوائح الحزبية بالمرشحين الى الجمعية التأسيسية في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ .

١٢ – ان الاحداث الاخيرة في اوكرانيا (وجزئياً كذلك في فنلنده وفي بيلوروسيا وايضاً في القفقاس) تشير كذلك الى تكتل القوى الطبقية الجديد الجاري في سياق النضال بين التعصب القومي البرجوازي للرادا الاوكراني والسَيمْ الفنلندي ، وخلافهما من جهة ، وبين السلطة السوفييتية ، والثورة البروليتارية الفلاحية في كل من هذه الجمهوريات القومية من جهة اخرى .

١٣ – اخيراً ، الحرب الاهلية التي بدأت بانتفاضة معادية للثورة قام بها الكاديت وكاليدين ضد السلطات السوفييتية ، ضد حكومة العمال والفلاحين ، ازّمت نهائياً النضال الطبقي وقضت على كل امكانية لحل أحدّ القضايا التي طرحها التاريخ امام شعوب روسيا وبالدرجة الاولى امام طبقتها العاملة وفلاحيها ، وحلها بواسطة الديموقراطية الشكلية .

١٤ – ان انتصار العمال والفلاحين التام على الانتفاضة البرجوازية والاقطاعية (التي انعكست في حركة الكاديت وكاليدين) ، ان قمع انتفاضة مالكي العبيد هذه قمعاً عسكرياً لا رحمة فيه ، هو وحده الذي يستطيع ان يضمن فعلاً الثورة البروليتارية الفلاحية . فان سير الاحداث وتطور النضال الطبقي

في الثورة قد أفضيا الى كون الشعار القائل «كل السلطة للجمعية التأسيسية» ، والذي لا يأخذ بالحسبان مكتسبات الثورة العمالية الفلاحية ، ولا يأخذ السلطة السوفييتية بالحسبان ، ولا يأخذ بالحسبان قرارات مؤتمر السوفييتات الثاني لنواب العمال والجنود في عامة روسيا والمؤتمر الثاني لنواب الفلاحين في عامة روسيا ، الخ . ، الى كون هذا الشعار **اصبح في الواقع** شعار الكاديت والكاليدينيين واعوانهم . واتضح للشعب كله بوضوح تام ان الجمعية التأسيسية ، اذا ما افترقت عن السلطة السوفييتية ، سيحكم عليها حتماً بالموت السياسي .

١٥ – في عداد المسائل ذات الحدة الخاصة في حياة الشعب ، مسألة السلام . فان النضال الثوري فعلاً من اجل السلام لم يبدأ في روسيا الا بعد انتصار ثورة ٢٥ اكتوبر ، وهذا الانتصار أوتي اولى ثماره عن طريق نشر المعاهدات السرية وعقد الهدنة وبداية المفاوضات العلنية حول صلح عام بلا الحاقات ولاغرامات .

والآن فقط ، تتوافر فعلاً وكلياً وعلناً للجماهير الشعبية الواسعة امكانية رؤية سياسة النضال الثوري من اجل السلام ودراسة نتائجها .

اثناء الانتخابات الى الجمعية التأسيسية ، كانت الجماهير الشعبية محرومة من هذه الامكانية .

وواضح ان عدم التناسب بين قوام المنتخبين الى الجمعية التأسيسية وارادة الشعب الفعلية في مسألة انهاء الحرب كان امراً محتماً من هذه الناحية ايضاً .

١٦ – ان تراكم الاعتبارات المعروضة آنفاً يفضي الى نتيجة مفادها ان الجمعية التأسيسية المدعوة الى الانعقاد بموجب لوائح احزاب كانت قائمة قبل الثورة البروليتارية الفلاحية تصطدم حتماً ، في ظل سيطرة البرجوازية ، بارادة ومصالح الطبقات الكادحة والمستثمرة التي بدأت الثورة الاشتراكية في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ضد البرجوازية . وطبيعي ان تعلو مصالح هذه الثورة الحقوق الشكلية للجمعية التأسيسية حتى ولو كانت هذه الحقوق الشكلية لم يبطلها خلو القانون بشأن الجمعية التأسيسية من الاعتراف بحق الشعب في اعادة انتخاب نوابه في اي وقت كان .

١٧ – ان اي محاولة ، مباشرة او غير مباشرة ، للنظر في مسألة الجمعية التأسيسية من وجهة حقوقية شكلية ، وعلى صعيد الديموقراطية البرجوازية العادية ، دون حسبان الحساب للنضال الطبقي والحرب الاهلية ، هي خيانة لقضية البروليتاريا وانتقال الى وجهة نظر البرجوازية . ان حذر الجميع وكل فرد من الوقوع في هذا الخطأ الذي تقع فيه قلة من قمم البلشفية لم تعرف كيف تقدر انتفاضة اكتوبر ومهام ديكتاتورية البروليتاريا هو واجب مطلق على الاشتراكية-الديموقراطية الثورية .

١٨ – ان الاحتمال الوحيد لحل الازمة التي نشبت بحكم عدم التناسب بين الانتخابات الى الجمعية التأسيسية وارادة الشعب ، وكذلك مصالح الطبقات الكادحة والمستثمَرة حلاً لا ألم فيه ، هو تطبيق الشعب ، على اوسع واسرع وجه ممكن ، لحق اعادة انتخاب اعضاء الجمعية التأسيسية ، وموافقة الجمعية التأسيسية نفسها على قانون اللجنة التنفيذية المركزية بشأن اعادة الانتخابات هذه ، وتصريح الجمعية التأسيسية دون اي تحفظ بانها تعترف بالسلطة السوفييتية والثورة السوفييتية وسياستها في مسألة السلم والارض والرقابة العمالية ، وانضمام الجمعية التأسيسية بشكل قاطع الى جانب اخصام الثورة المضادة الكاديتية-الكاليدينية .

١٩ – بدون هذه الشروط ، لا يمكن حل الازمة المرتبطة بالجمعية التأسيسية الا بالسبيل الثوري ، بسبيل اشد التدابير الثورية عزماً وسرعة وصلابة وحزماً تتخذها السلطة السوفييتية ضد الثورة المضادة الكاديتية-الكاليدينية ، اياً كانت الشعارات والمؤسسات (وحتى العضوية في الجمعية التأسيسية التي تتستر بها هذه الثورة المضادة) . ان اي محاولة لتقييد يدي السلطة السوفييتية في هذا النضال ستكون مساعدة للثورة المضادة .

المجلد ٣٥ ،
ص ١٦٢–١٦٦

الملحق الثاني

كتاب جديد لفاندرفلده عن الدولة

لم أطلع على كتاب فاندرفيلده : «الاشتراكية ضد الدولة» (باريس ١٩١٨) الا بعد أن طالعت كتاب كاوتسكي . والمقارنة بين هذين الكتابين ترد على الخاطر بصورة عفوية . فان كاوتسكي زعيم الأممية الثانية (١٨٨٩-١٩١٤) الفكري ، وفاندرفلده ممثلها الرسمي ، بوصفه رئيس المكتب الاشتراكي العالمي . وكلاهما يجسد افلاس الأممية الثانية التام ؛ وكلاهما يعمد «بمهارة» وبكل الحذاقة التي يتميز بها الصحافيون المحنكون ، الى تغطية افلاسهما هذا وراء ستار من الألفاظ والتعابير الماركسية ، الى ستر انهياره بالذات وانتقاله الى جانب البرجوازية . أحدهما يبين لنا بصورة آسرة ما تمتاز به الانتهازية الألمانية من ثقل ، وادعاء نظري ، وتزوير فظ للماركسية قوامه بتر ما هو غير مقبول في الماركسية بالنسبة للبرجوازية . والثاني يمثل النوع الروماني ، - ويمكن القول الى حد ما ، النوع الأوروبي الغربي (بمعنى أنه يقع غربي ألمانيا) ، - من الانتهازية السائدة ، وهو نوع أكثر مرونة ، وأقل ثقلاً ، ويزور الماركسية بمزيد من الحذاقة بوساطة هذا الأسلوب الأساسي نفسه .

وكلاهما يشوه تشويهاً جذرياً سواء مذهب ماركس عن الدولة أم مذهبه عن ديكتاتورية البروليتاريا ؛ وفي هذا المجال ، يتطرق فاندرفلده ، أكثر ما يتطرق ، الى القضية الأولى ، بينما يتناول كاوتسكي القضية الثانية أكثر . وكلاهما يطمس الصلة الوثقى التي لا تنفصم عراها بين القضية الأولى والقضية الثانية . وكلاهما ثوري وماركسي قولاً ، ومرتد فعلاً ؛ ويبذل كل جهوده للتهرب بواسطة التعابير من الثورة . وليس عند أي منهما أي ظل لما تتشرب به كل مؤلفات ماركس وانجلس وما يميز

الاشتراكية فعلاً عن صورتها الكاريكاتورية البرجوازية ، ونعني به : تسليط النور على مهمات الثورة ، **خلافاً** لمهمات الاصلاح ؛ تسليط النور على التكتيك الثوري ، خلافاً للتكتيك الاصلاحي ؛ تسليط النور على دور البروليتاريا **في القضاء** على نمط او منهج او نظام عبودية العمل المأجور ، خلافاً لدور البروليتاريا في الدول «الكبرى» ، هذه البروليتاريا التي تتقاسم مع البرجوازية جزءاً طفيفاً مما تبتزه هذه البرجوازية من أرباح زائدة امبريالية وغنائم زائدة امبريالية .

واليكم ، برهانا على هذا التقدير ، بعضاً من محاكمات فاندرفلده ذات الدلالة .

يستشهد فاندرفلده بماركس وانجلس بأقصى الحمية ، كما يفعل كاوتسكي . وعلى غرار كاوتسكي ، يورد من ماركس وانجلس كل شيء ، **باستثناء** ما هو غير مقبول اطلاقاً عند البرجوازية ، ما يميز الثوري عن الاصلاحي . وهو يتكلم باسهاب عن ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية ، ما دام الأمر محصوراً عملياً منذ زمن في نطاق برلماني صرف . اما أن يكون ماركس وانجلس قد اعتبرا من الضروري ، بعد تجربة الكومونة ، أن يكملا «البيان الشيوعي» الذي شاخ جزئياً ، بتوضيح هذه الحقيقة وهي أن الطبقة العاملة لا يمكنها الاكتفاء بالاستيلاء على آلة الدولة الجاهزة ، وانه يجب عليها أن **تحطم** هذه الآلة ، **فهذا ما لا ينبس عنه فاندرفلده ببنت شفة** ! ان فاندرفلده ، مثله مثل كاوتسكي ، كأنما كانا على اتفاق مسبق ، يلزم الصمت المطبق حول أهم ما في تجربة الثورة البروليتارية بوجه الضبط ، حول ما يميز ثورة البروليتاريا عن اصلاحات البرجوازية بوجه الضبط .

وعلى غرار كاوتسكي ، يتحدث فاندرفلده عن ديكتاتورية البروليتاريا لكي يتهرب بواسطة الكلام منها . وقد فعل كاوتسكي ذلك بلجوئه الى تزويرات فظة . أما فاندرفلده ، فقد فعل الشيء ذاته بطريقة أكثر حذاقة . ففي المقطع المقابل ، المقطع ٤ ، حول «ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية» ، يخصص النقطة «ب» لمسألة «الديكتاتورية الجماعية للبروليتاريا» ؛ و«يستشهد» بماركس وانجلس (واكرر : مع

اغفاله بالضبط ما له علاقة بالأمر الأهم ، **بتحطيم** آلة الدولـــة البرجوازية الديموقراطية القديمة) ، ويخلص الى القول :

«. . . ان الاوساط الاشتراكية تتصور ، عادة ، الثورة الاجتماعية كما يلي : كومونة جديدة ، ظافرة هذه المرة ، لا في نقطة واحدة ، بـــل في مراكز العالم الرأسمالي الرئيسية .

فرضية ؛ ولكنها فرضية ليس فيها شيء بعيد الاحتمال ، في هذه الازمنة التي يبدو فيها منذ حين ان مرحلة ما بعد الحرب ستعرف ، في كثير من البلدان ، تناحرات طبقية واضطرابات اجتماعية لم يسمع بمثلها من قبل .

ولكن ، اذا كان اخفاق كومونة باريس – هذا اذا لم تذكر مصاعب الثورة الروسية – يثبت شيئا ما ، فانما يثبت استحالة التغلب على النظام الرأسمالي ما دامت البروليتاريا غير محضرة كفاية لممارسة السلطـــــة التي قد توقعها الظروف في يديها» (ص ٧٣) .

ولا شيء اطلاقاً بعد هذا من حيث الأساس !

ها هم حقاً زعمـــاء وممثلو الأممية الثانية ! في عام ١٩١٢ يوقعون بيان بال ، حيث يتحدثون صراحةً عن الصلة بين تلـــك الحرب بالذات التي انفجرت عام ١٩١٤ والثورة البروليتارية التي **يهددون** بها صراحةً ، وحين جاءت الحرب ونشأ وضع ثوري ، بدأ هؤلاء الكاوتسكيـــون والفاندرفلديون يتملصـــون من الثورة بواسطة التعابير . فالثورة من طراز الكومونة ليست ، على حـــد زعمهم ، الا فرضية غير بعيدة الاحتمال ! وهذه المحاكمة مماثلـــة تماماً لمحاكمة كاوتسكي حول دور السوفييتات المحتمـــــل في أوروبا .

ولكن هذه المحاكمة هي محاكمة كل **ليبيرالي** متعلم يوافـــق اليوم بكل تأكيد على أن الكومونـــة الجديدة «ليســـت بعيدة الاحتمال» ؛ وان السوفييتات ستضطلع بدور كبيـــر ، الخ . ان الثوري البروليتاري يمتاز عن الليبيرالي بكونـــه ، كنظري ، يحلل بالضبط المغزى الجديد للكومونة والسوفييتات من حيث هي طراز **دولة** . غير أن فاندرفلده **يلزم الصمت** حول كل مـــا عرضه ماركس وانجلس بهذا الصدد بالتفصيل عندما حللا تجربة الكومونة .

وعلى الماركسي ، بوصفه رجلا عملياً ، بوصفه سياسياً ، أن يبين أن خونة الاشتراكية هم وحدهم الذين يستطيعون الآن التخلي عن المهمة التالية : تبيان ضرورة الثورة البروليتارية (من طراز الكومونة ، من طراز السوفييتات ، أو ، لنفترض ، من طراز ثالث) ، توضيح ضرورة الاستعداد لها ، القيام بالدعاية بين الجماهير من أجل الثورة ، دحض الأوهام الضيقة الأفق المناهضة لضرورة الثورة الخ . .

ولكن لا كاوتسكي ولا فاندرفلده يقومان بأي عمل من هذا القبيل ، لأنهما نفسيهما على وجه الضبط خائنان للاشتراكية يريدان الحفاظ على سمعتهما بين العمال باعتبارهما اشتراكيين وماركسيين .

انظروا الى وضع القضية من الناحية النظرية .

ان الدولة ليست ، في الجمهورية الديموقراطية أيضاً ، الا آلة لقمع طبقة من جانب طبقة أخرى . وكاوتسكي يعرف هذه الحقيقة ، يعترف بها ، ويشاطرها ، ولكنه . . . يتملص من المسألة الجذرية الرئيسية ، مسألة معرفة أية هي الطبقة التي يجب على البروليتاريا أن تقمعها ، ولماذا وبأية وسائل يجب عليها أن تقمعها حين تظفر بالدولة البروليتارية .

وفاندرفلده يعرف هذه الموضوعة الأساسية في الماركسية ، ويعترف بها ، ويشاطرها ويستشهد بها (ص ٧٢ من كتابه) ، ولكنه . . . لا ينبس ببنت شفة حول الموضوع «المزعج» (للسادة الرأسماليين) المتعلق **بقمع مقاومة المستثمِرين** ! !

وفاندرفلده ، شأنه شأن كاوتسكي ، يتجنب تماماً هذا الموضوع «المزعج» . وفي هذا على وجه التدقيق يقوم ارتدادهما .

وفاندرفلده ، شأنه شأن كاوتسكي ، برع في فن احلال الاختيارية محل الديالكتيك . من جهة لا بدّ من الاعتراف ؛ ومن جهة أخرى يجب الاعتراف . من جهة ، يمكن أن تعني الدولة «جسم أمة» (راجعوا قاموس ليتره ، — وهو مؤلف علمي «لا ريب فيه» ! — ص ٨٧ عند فاندرفلده) ؛ ومن جهة أخرى ، يمكن أن تعني الدولة «الحكومة» (المرجع ذاته) . ان هذه السخافة

العلمية ، انما يوردها فاندرفلده ، مؤيداً اياها ، **الى جانب** أقوال ماركس .

وقد كتب فاندرفلده قائلاً : ان المعنى الماركسي لكلمة «دولة» يختلف عن معناها العادي . فيمكن بالتالي أن يقع «سوء فهم» . «الدولة ، عند ماركس وانجلس ، ليست الدولة بمعنى الكلمة الواسع ، ليست الدولة بوصفها هيئة تمثل وتشرف على مصالح المجتمع العامة (intérêts généraux de la société) انما هي الدولة – السلطة ، الدولة كهيئة السلطة ، الدولة كأداة سيطرة طبقة على أخرى» (فاندرفلده ، ص ص ٧٥–٧٦) .

أما فيما يتعلق بتحطيم الدولة ، فان ماركس وانجلس لا يتحدثان عنه الا بالمعنى الثاني . . . «ان التأكيدات المطلقة جداً قد تصبح غير صحيحة ، اذ أنه توجد كثرة من الدرجات الانتقالية بين الدولة الرأسمالية ، القائمة على سيادة طبقة واحدة بوجه الحصر ، والدولة البروليتارية التي تهدف الى الغاء الطبقات» . (ص ١٥٦) .

هذه هي «طريقة» فاندرفلده ، وهي طريقة لا تختلف الا قليلاً جداً عن طريقة كاوتسكي ، بل تماثلها تماماً من حيث الجوهر . ان الديالكتيك ينكر الحقائق المطلقة ، اذ يقرر تعاقب الأضداد ودور الأزمات في التاريخ . أما الاختياري فلا يريد تأكيدات «مطلقة جداً» ، لكي يمرّر خلسة رغبته ، رغبة البرجوازية الصغيرة ، التافهة ، الضيقة الأفق ، في الاستعاضة عن الثورة «**بدرجات انتقالية**» .

أن تكون الدرجة الانتقالية بين الدولة بوصفها هيئة لسيطرة طبقة الرأسماليين ، والدولة بوصفها هيئة لسيطرة البروليتاريا ، انما هي بالضبط **الثورة** التي تعني **اسقاط** البرجوازية ، **وسحق** ، تحطيم آلة دولتها **هي** ، فهذا ما يلزم الصمت حوله الكاوتسكيون والفاندرفلديون .

وأن يكون من الواجب الاستعاضة عن ديكتاتورية البرجوازية بديكتاتورية طبقة **واحدة** هي طبقة البروليتاريا ؛ وأن تأتي بعد «الدرجات الانتقالية» للثورة «الدرجات الانتقالية» لاضمحلال الدولة البروليتارية التدريجي ، فهذا ما يطمسه الكاوتسكيون والفاندرفلديون .

وهذا هو ارتدادهم السياسي .

وهذا هو نظرياً وفلسفياً ، احلال الاختيارية والسفسطائية محل الديالكتيك . ان الديالكتيك ملموس وثوري . و«الانتقال» من ديكتاتورية طبقة الى ديكتاتورية طبقة أخرى ، انما يميزه الديالكتيك عن «انتقال» الدولة البروليتارية الديموقراطية الى اللادولة («اضمحلال الدولة») . ان اختيارية وسفسطائية الكاوتسكيين والفاندرفلديين ، ارضاء منهم للبرجوازية ، تطمسان كل ما هو ملموس ودقيق في النضال الطبقي ، اذ تحلان محله المفهوم العام عن «الانتقال» حيث يمكن اخفاء (وحيث يخفي تسعة أعشار الاشتراكيين-الديموقراطيين الرسميين في عهدنا) الارتداد عن الثورة !

وفاندرفلده ، باعتباره اختيارياً وسفسطائياً ، أحذق وأنعم من كاوتسكي ، اذ أنه بوساطة **جملة** : «الانتقال من الدولة بالمعنى الضيق ، الى الدولة بالمعنى الواسع» ، يمكن التملص من جميع قضايا الثورة ، أيا كانت هذه القضايا يمكن تجنب كل الفرق بين الثورة والاصلاح ، بله الفرق بين الماركسي والليبرالي . اذ أن أي برجوازي متعلم على الطريقة الأوروبية ينكر «بوجه عام» «الدرجات الانتقالية» بهذا المعنى «العام» ؟

وقد كتب فاندرفلده يقول : «واني متفق مع غيد في انه يستحيل جعل وسائل الانتاج والتبادل ملكية اجتماعية ، دون ان يصار مسبقا الى تحقيق الشرطين التاليين :

١ - تحويل الدولة الحالية ، هيئة سيطرة طبقة على اخرى ، الى ما يسميه منغر دولة العمل الشعبية ، عن طريق ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية .

٢ - فصل الدولة ، بوصفها هيئة السلطة والدولة بوصفها هيئة للادارة او ، حسب التعابير السان سيمونية ، الاشراف على الناس ، عن ادارة الاشياء» (ص ٨٩) .

هذا الكلام يطبعه فاندرفلده بحرف أسود ، لكي يشير اشارة خاصة الى أهمية هذه الموضوعات . ولكنها تلك حقاً سلاطة اختيارية تامة ، وقطيعة كلية مع الماركسية ! لأن «دولة العمل الشعبية» ليست سوى طبعة جديدة عن «الدولة الشعبية

الحرة» القديمة التي كان ينادي بها الاشتراكيون-الديموقراطيون الألمان في سنوات العقد الثامن ، والتي ندد بها انجلس ونعتها بالسخافة والخراقة (٧١) . ان تعبير «دولة العمل الشعبية» تعبير جدير بديموقراطي برجوازي صغير (شبيه بصاحبنا الاشتراكي-الثوري اليساري) ، تعبير يستعيض عن المفاهيم الطبقية بالمفاهيم **اللاطبقية** . ان فاندرفيلده يضع في مستوى واحد ظفر **البروليتاريا** (طبقة واحدة) بسلطة الدولة والدولة «الشعبية» دون أن يلحظ أية سلاطة ينتج عن عمله هذا . ونفس السلاطة عند كاوتسكي مع «ديموقراطيته الخالصة» ، نفس التجاهل البرجوازي الصغير واللاثوري لقضايا الثورة الطبقية ، والديكتاتورية البروليتارية الطبقية ، والدولة **الطبقية** (البروليتارية) .

لنتابع . ان الاشراف على الناس لن يزول ولن يخلي المكان لادارة الاشياء الا حين تضمحل كل دولة . وبهذا المستقبل البعيد نسبياً ، يستر فاندرفلده ويعمّي مهمة **الغد : اسقاط** البرجوازية .

وهذا الأسلوب أيضاً يعني الاستخذاء أمام البرجوازية الليبيرالية . ان الليبيرالي يوافق على الثرثرة عما سيحدث يوم لا يبقى الناس بحاجة الى أن يكونوا محكومين ، ولِمَ لا يستسلم لهذه الأحلام البريئة ، التي لا ضرر منها ؟ أما فيما يتعلق باقدام البروليتاريا على قمع مقاومة البرجوازية التي تقاوم مصادرة أملاكها ، فالأفضل لزوم الصمت المطبق . فتلك هي المصلحة الطبقية للبرجوازية .

«الاشتراكية ضد الدولة» بهذا التعبير ، يرفع فاندرفيلده قبعته تحية للبروليتاريا . وليس من الصعب رفع القبعة تحية . فكل سياسي «ديموقراطي» يعرف كيف يحيي ناخبيه . وتحت ستار هذه «التحية» ، يمرّر مضموناً ضد الثورة ، ضد البروليتاريا .

ان فاندرفلده يكرر أوستروغورسكي (٧٢) بالتفصيل حين يقول أي تضليل ، وعنف ، ورشو ، وكذب ، ورياء ، واضطهاد للفقراء تختفي وراء وجه الديموقراطية البرجوازية المعاصرة المتمدّن الأملس ، المزين بالمساحيق . ولكن فاندرفيلده لا

يستخلص من هذا القول أيـــة نتيجـة . ولا يلاحظ أبداً أن الديموقراطية البرجوازية تقمع الجماهير الكادحة والمستثمَرة ، **في حين** أنه سيتعين على **الديموقراطية البروليتاريـــة أن تقمـع البرجوازية** . ان كاوتسكي وفاندرفلده أعميان في هذا المجال . ان مصلحـــة طبقـــة البرجوازية التي يسير وراءهـــا هذان البرجوازيان الصغيران ، هذان الخائنان للماركسية ، **تقتضـــي** تجنب هذه المسألة ولزوم الصمت حولها أو انكار ضرورة هذا القمع انكاراً صريحاً .

الاختياريـــة البرجوازيـــة الصغيرة ضد الماركسيـــة ، السفسطائية ضد الديالكتيك ، الاصلاحية التافهة الضيقة الأفـــق ضد الثورة البروليتارية ، هكذا كان ينبغي أن يكون اسم كتاب فاندرفلده .

كتب في تشرين الاول (اكتوبر) — قبل ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ .
كتب الملحق الاول في ١١ او ١٢ (٢٤ او ٢٥) كانـــون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ .
كتب الملحق الثاني بعد ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨

المجلد ٣٧ ،
ص ٣٣٢–٣٣٨

ملاحظات

١ ـ **كاوتسكي كارل** (١٨٥٤ـ١٩٣٨) ـ احد زعماء الاشتراكيـــة الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . في البدء ماركسي . فيما بعد ، مرتد عن الماركسية . ايديولوجي الوسطية . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وقف ضد الثورة البروليتارية وديكتاتورية الطبقـــة العاملة وضد الدولة السوفييتية . ـ ص ٥ .

٢ ـ «**سوسيال-ديموقراط**» («الاشتراكي-الديموقراطـــي») ـ جريدة سرية ، لسان الحال المركزي لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا . صدرت من شباط (فبراير) ١٩٠٨ الى كانون الثانـــي (يناير) ١٩١٧ . صدر العدد الاول في روسيا ، ثم نقل طبعها الى الخارج .

«**كومونيست**» («الشيوعي») ـ مجلة نظمها لينين واصدرتها هيئة تحرير جريـــدة «سوسيال-ديموقراط» . صدر منهـــا عدد واحد فقط (مزدوج) (ايلول ـ سبتمبر ١٩١٥) . ـ ص ٥ .

٣ ـ المقصود هنا كراس «الاشتراكية والحرب (موقف حءادر مـــن الحرب)» .

صدر بحث «الاشتراكية والحرب» عشية كونفرنس (مجلس عام) زيميرفالد الذي انعقد في ايلول (سبتمبر) ١٩١٥ ، بشكل كراس صغير باللغتين الروسية والالمانية ، وجرى توزيعه عـــلى المشتركين في الكونفرنس . بعد كونفرنس زيميرفالد صدر الكراس في فرنسا باللغة الفرنسية . ـ ص ٥ .

٤ ـ **الاممية الثانية** ـ اتحاد عالمي للاحزاب الاشتراكية ، تاسس في عام ١٨٨٩ . عندما نشبت الحرب الامبريالية العالمية ١٩١٤ـ ١٩١٨ ، خان زعماء الاممية الثانية قضية الاشتراكية وانتقلوا الى جانب حكوماتهم الامبريالية ، فانهارت الاممية الثانية . ـ ص ٥ .

٥ ـ **ستروفـــه بيوتر برنغاردوفيتش** (١٨٧٠ـ١٩٤٤) ـ اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي روسي . احد زعماء حزب الكاديت . في

التسعينيات ، ابرز ممثلي «الماركسية الشرعيـــــة» . عرض «اضافات» و«نقدا» لمذهب ماركس الاقتصادي والفلسفي ، وسعى الى تكييف الماركسية والحركة العمالية وفقاً لمصالح البرجوازية .

برينتانو لويو (١٨٤٤–١٩٣١) — اقتصادي الماني . روج بالعدول عن النضال الطبقي وحاول ان يثبت ان من الممكن ، عــن طريق تنظيم النقابات الاصلاحية وسن قوانين العمل ، حل التناقضات الاجتماعية في المجتمع البرجوازي ، والتوفيق بين مصالح العمال ومصالح الرأسماليين . — ص ٥ .

٦ — **بليخانوف غيورغي فالنتينوفيتش** (١٨٥٦–١٩١٨) — قائد بارز في الحركة الروسية والعالمية . اول داعية للماركسية في روسيا .

بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، اخذ جانب التصالح مع الانتهازية ، ثم التحق بالمناشفة . قدر لينين رفيع التقدير مؤلفات بليخانوف الفلسفية ودوره في نشر الماركسية في روسيا ، ولكنه انتقد بليخانوف في الوقت نفسه انتقاداً حاداً بسبب انحرافه عن الماركسية وبسبب اخطائـــــه الجسيمة في حقل النشاط السياسي . — ص ٥ .

٧ — **بيان بال** — بيان بشان الحرب اقره المؤتمر الاشتراكي العالمي فوق العادة المنعقد في بال (سويسرا) من ٢٠ الى ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢ . حذر البيان الشعوب من خطر الحرب الامبريالية الزاحف ، وفضح الاهداف اللصوصية لهذه الحرب ، ودعا العمال في جميع البلدان الى النضال الحازم من اجل السلام . تضمن بيان بال بنداً من قرار مؤتمر شتوتغارت (١٩٠٧) كان قد صاغه لينين ومفاده انه يجب على الاشتراكيين ، في حال نشوب الحـــــرب الامبريالية ، ان يستغلوا الازمة الاقتصادية والسياسية الناجمة عن الحرب لاجل النضال في سبيل الثورة الاشتراكية . — ص ٦ .

٨ — بهذا الاسم صدرت الطبعة الاولى من كتاب لينين «الامبريالية ، اعلى مراحل الرأسمالية» . — ص ٦ .

٩ — **المناشفة** — تيار انتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية . تشكل في المؤتمر الثاني ح‍ع‍ادر (عام ١٩٠٣) . فاثناء انتخاب هيئات الحزب المركزية في هذا المؤتمر ، نال اللينينيون اغلبيـــــة الاصوات ، فسموهم بالبلاشفة (من الكلمة الروسية «بولشنستفو» ومعناها الاغلبية) ، بينما بقي الانتهازيون اقلية فسموهم بالمناشفة (من الكلمة الروسية «منشنستفو» ومعناها الاقلية) .

عارض المناشفة البرنامج الثوري للحزب ، وزعامة البروليتاريا

في الثورة ، وتحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، ونادوا بالتوافق مع البرجوازية الليبيرالية .

الاشتراكيون-الثوريون — حزب للبرجوازية الصغيرة في روسيا . تأسس في أواخر ١٩٠١ وأوائل ١٩٠٢ .

بعد ثورة شباط البرجوازية الديموقراطية عام ١٩١٧ ، اشتركوا ، مثلهم مثل المناشفة ، في الحكومة الموقتة البرجوازية . بعد انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا ، اشترك الاشتراكيون-الثوريون في النضال المسلح الذي شنته الثورة المضادة في روسيا ضد الشعب السوفييتي . — ص ٨ .

١٠ — **برنشتين ادوارد** (١٨٥٠–١٩٣٢) — زعيم الجناح الانتهازي المتطرف في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . عمد برنشتين الى تحريف الاسس الفلسفية والاقتصادية والسياسية للماركسية الثورية .. اعلن برنشتين ان المهمة الاساسية التي تواجه الحركة العمالية هي النضال في سبيل اصلاحات ترمي الى تحسين وضع العمال الاقتصادي في ظل الرأسمالية ، وتقدم بالصيغة الانتهازية القائلة : «الحركة كل شيء ، الهدف النهائي لا شيء» . — ص ٨ .

١١ — هذا المقتبس ماخوذ من مؤلف ماركس «نقد برنامج غوتا» . — ص ٩ .

١٢ — المقصود هنا الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤–١٩١٨) . — ص ١٠ .

١٣ — راجع رسالة انجلس الى بيبل بتاريخ ١٨–٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ . — ص ١٤ .

١٤ — **بلان لويس** (١٨١١–١٨٨٢) — اشتراكي برجوازي صغير فرنسي . مؤرخ . كان خصماً للثورة البروليتارية ، ووقف مواقف التوافق مع البرجوازية . انتخب في شباط (فبراير) ١٨٧١ الى الجمعية الوطنية ، وانضم الى صفوف اعداء كومونة باريس . — ص ١٧ .

١٥ — هذه الفكرة اعرب عنها انجلس في «المقدمة» لمؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» . — ص ١٧ .

١٦ — يستشهد لينين بمقالة انجلس «في السلطة» . — ص ١٧ .

١٧ — راجع رسالة ماركس الى كوغلمان بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٧١ ، ومؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» و«المقدمة»

التي كتبها انجلس في عام ١٨٩١ لمؤلف «الحرب الاهلية في فرنسا» . — ص ١٨ .

١٨ — المقصود هنا المقدمة التي كتبها ماركس وانجلس في عام ١٨٧٢ للطبعة الالمانية من «بيان الحزب الشيوعي» . — ص ١٨ .

١٩ — في ٤ آب (اغسطس) ١٩١٤ صوتت الكتلة الاشتراكية الديموقراطية في الريخستاغ (البرلمان) الالماني بالموافقة على منح الحكومة الالمانية القيصرية الاعتمادات الحربية . — ص ١٨ .

٢٠ — **فيتلينغ ولهلم** (١٨٠٨—١٨٧١) — قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية في مرحلة نشوئها . احد نظريي الشيوعية السوائية الطوبوية ؛ مهنته خياط . — ص ٢٠ .

٢١ — راجع : انجلس ، «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» . — ص ٢١ .

٢٢ — راجع : انجلس ، «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» . — ص ٢١ .

٢٣ — **الويغ والتوري** ، حزبان سياسيان في انجلترا نشآ في العقدين الثامن والتاسع من القرن السابع عشر . كان حزب الويغ يعبر عن مصالح الاوساط المالية والبرجوازية التجارية وكذلك عن مصالح قسم من الاريستقراطية المتبرجزة . ارسى الويغ بداية الحزب الليبيرالي (حزب الاحرار) . اما حزب التوري فكان يمثل كبار الملاكين العقاريين وقمة اكليروس الكنيسة الانجليزية ، وكان يدافع عن تقاليد الماضي الاقطاعي ، ويكافح ضد المطالب الليبيرالية والتقدمية . أرسى التوري فيما بعد بداية حزب المحافظين . كان حزبا الويغ والتوري يتناوبان الحكم . — ص ٢٢ .

٢٤ — **كروب** — سلالة من الصناعيين الالمان ؛ إصحاب اضخم كونسورسيوم لصناعة التعدين الحربية في المانيا .

شيدمان فيليب (١٨٦٥—١٩٣٩) — احد زعماء الجناح اليميني المتطرف والالتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية .

كليمانسو جورج بنيامين (١٨٤١—١٩٢٩) — قائد سياسي ورجل دولة فرنسي . من عام ١٩٠٦ الى عام ١٩٠٩ ومن عام ١٩١٧ الى عام ١٩٢٠ ترأس الحكومة الفرنسية . انتهج السياسة الامبريالية .

دينوديل بيير (١٨٧١—١٩٣٥) — احد زعماء الحزب الاشتراكي الفرنسي الاصلاحيين . — ص ٢٣ .

٢٥ ـ يقصد لينين المحاكمة الاستفزازية التي نظمتها في عام ١٨٩٤ الاوساط الملكية الرجعية من الطغمة العسكرية الفرنسية ضد الضابط في هيئة الاركان العامة الفرنسية ، اليهودي دريفوس ، المتهم زوراً وبهتاناً بالتجسس والخيانة العظمى . وقد حكم على دريفوس بالسجن المؤبد . استغلت الاوسط الرجعية الفرنسية محاكمة دريفوس التي اوعزت بها الطغمة العسكرية الرجعية ، لاجل تسعير نيران العداء للسامية ولاجل الهجوم على النظام الجمهوري والحريات الديموقراطية . في عام ١٨٩٩ صدر عفو بحق دريفوس تحت ضغط اوساط الرأي العام ؛ وبموجب حكم من محكمة التمييز في عام ١٩٠٦ ، اعتبر بريئاً واعيد الى الجيش . ـ ص ٢٣ .

٢٦ ـ المقصود هنا القمع القاسي الذي تعرضت له الانتفاضة الارلندية التي نشبت في عام ١٩١٦ لاجل تحرير ارلنده من السيطرة الانجليزية . وقد كتب لينين في عام ١٩١٦ يقول : «في اوروبا . . . ثارت ارلنده فهدأها «الانجليز الشغوفون بالحرية» بالاعدامات» .

اولستر ـ القسم الشمالي الشرقي من ارلنده ومعظم سكانه من الانجليز . اشتركت قوات اولستر المسلحة مع القوات المسلحة الانجليزية في قمع انتفاضة الشعب الارلندي . ـ ص ٢٣ .

٢٧ ـ **الدوما . دوما الدولة** (المجلس . مجلس الدولة) ـ مؤسسة تمثيلية في روسيا القيصرية ، عقدت بنتيجة ثورة ١٩٠٥ـ١٩٠٧ . شكلاً كان دوما الدولة هيئة تشريعية ؛ اما في الواقع ، فلم يكن يملك اي سلطة فعلية . كانت الانتخابات الى الدوما غير متساوية وغير مباشرة وغير عامة . وكانت الحقوق الانتخابية للطبقات الكادحة ، وكذلك للقوميات غير الروسية القاطنة في روسيا ، مبتورة جداً . وكان قسم هائل من العمال والفلاحين لا يملك البتة اي حقوق انتخابية . ـ ص ٢٤ .

٢٨ ـ **شيلوك** ـ شخصية من مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» . مراب قاس وجاف ، طالب بلا هوادة ، بموجب شروط سند الدين ، بقص رطل من لحم مدينه العاجز عن تسديد الدين . ـ ص ١٨ .

٢٩ ـ راجع مقالة ماركس «اللامبالاة السياسية» . ـ ص ٣٠ .

٣٠ ـ راجع مقالة انجلس «في السلطة» . ـ ص ٣٠ .

٣١ ـ راجع رسالة انجلس الى بيبل بتاريخ ١٨ـ٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ . ـ ص ٣٠ .

٣٢ – **اسطبلات اوجياس** – هي كما تقول الاساطير اليونانية القديمة ، اسطبلات هائلة لاوجياس ، ملك اليدا ، ظلت سنوات طويلة دون تنظيف حتى جاء البطل هرقل ونظفها وحقق هذه المأثرة في يوم واحد . وتعبير «اسطبلات اوجياس» يعني تراكم مختلف الاوساخ والاقذار او الحد الاقصى من الاهمال والفوضى في الامور . – ص ٣٣ .

٣٣ – المقصود «موضوعات نيسان» للينين . – ص ٣٧ .

٣٤ – يقصد لينين «مقدمة» انجلس لمؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» . – ص ٤٠ .

٣٥ – **اكسيلرود بافل بوريسوفيتش** (١٨٥٠–١٩٢٨) – احد زعماء المنشفية . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية في عام ١٩١٧ ، دعم الحكومة الموقتة البرجوازية . قابل ثورة اكتوبر الاشتراكية بالعداء . – ص ٤٤ .

٣٦ – صدر كراس لينين «الاحزاب السياسية في روسيا ومهمات البروليتاريا» باللغة الانجليزية في جريدة «The Evening Post» («ذي ايفنينغ بوست» – «بريد المساء») في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ ؛ وفي مجلة الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي الاميركي «The Class Struggle» («ذي كلاس ستروغل» – «النضال الطبقي») ، العدد ٤ ، تشرين الثاني – كانون الاول (نوفمبر – ديسمبر) ١٩١٧ ، كما صدر في طبعة على حدة . – ص ٤٤ .

٣٧ – يقصد لينين القرار الذي اتخذه المجلس العام (الكونفرنس) لعامة روسيا لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي (البلشفي) في روسيا (ح‌ع‌ادر (ب)) بشأن اعادة النظر في برنامج الحزب . وكان لينين هو الذي كتب نص القرار . – ص ٤٥ .

٣٨ – في ١٤(٢٧) حزيران (يونيو) ١٩١٧ اتخذت الحكومة الموقتة قراراً بتعيين موعد الانتخابات الى الجمعية التأسيسية في ١٧ (٣٠) ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ . وفي آب (اغسطس) ارجأت الحكومة الموقتة موعد الانتخابات الى ٢١(٢٥) تشرين الثاني (نوفمبر) .

جرت الانتخابات الى الجمعية التأسيسية – بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، – في الموعد المقرر ، في ١٢(٢٥) تشرين الثاني . وقد جرت بموجب قوائم موضوعة قبل ثورة اكتوبر

الاشتراكية ، فعكس قوام الجمعية التاسيسية النسبة القديمة بين القوى عندما كانت البرجوازية في دست الحكم . وحصلت قطيعة حادة بين ارادة اغلبية الشعب الساحقة التي تؤيد السلطة السوفييتية ، وبين السياسة التي انتهجتها الجمعية التاسيسية باغلبيتها التي كانت تتألف من الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة والكاديت والتي كانت تعبر عن مصالح البرجوازية والملاكين العقاريين الاقطاعيين . وبما ان الجمعية التاسيسية رفضت بحث واعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمَر» والمصادقة على مراسيم السلام والارض وانتقال السلطة الى السوفييتات ، فقد حلت بقرار من اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ٦(١٩) كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . — ص ٤٧ .

٣٩ — **الكاديت** (الحزب الدستوري الديموقراطي) — الحزب الرئيسي للبرجوازية الليبيرالية الملكية في روسيا . تشكل في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ .

بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، نظم الكاديت مؤامرات وفتناً ضد الثورة وضد الجمهورية السوفييتية .

كاليدين الكسي مكسيموفيتش (١٨٦١—١٩١٨) — جنرال قيصري . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، احد قادة الثورة المضادة القوزاقية في منطقة الدون . — ص ٤٨ .

٤٠ — **المداولة الديموقراطية لعامة روسيا** — دعتها اللجنة التنفيذية المركزية المنشفية والاشتراكية-الثورية للسوفييتات الى الانعقاد في ايلول (سبتمبر) في بتروغراد . اتخذ زعماء المناشفة والاشتراكيين-الثوريين جميع التدابير لاضعاف نسبة تمثيل سوفييتات نواب العمال والفلاحين في المداولة ولزيادة عدد المندوبين عن مختلف منظمات البرجوازية الصغيرة والبرجوازية ، لكي يؤمنوا لانفسهم الاغلبية في المداولة .

اتخذت المداولة الديموقراطية قراراً بتنظيم البرلمان التمهيدي (مجلس الجمهورية الموقت) . وكانت تلك محاولة للايهام بان النظام البرلماني مطبق في روسيا .

الح لينين قطعاً على مقاطعة البرلمان التمهيدي لأن من شان البقاء فيه بذر الاوهام بانه مؤسسة قادرة على اداء مهام الثورة . درست لجنة الحزب المركزية اقتراح لينين واتخذت قراراً بانسحاب البلاشفة من البرلمان التمهيدي . في ٧ (٢٠) تشرين الاول (اكتوبر) ، في اليوم الاول من افتتاح البرلمان التمهيدي ، تلا البلاشفة بياناً فيه وانسحبوا منه . — ص ٥٠ .

٤١ ـ المقصود هنا مؤامرة الجنرال كورنيلوف المعادية للثورة في آب (اغسطس) ١٩١٧ . ـ ص ٥٢ .

٤٢ ـ **الفرساليون** ـ انصار الحكومة البرجوازية الفرنسية المعادية للثورة ، برئاسة تيير ، التي استقرت في فرساي بعد انتصار كومونة باريس ودخلت في تحالف عسكري مع القوات المسلحة البروسية لاجل قمع انتفاضة عمال باريس .

بيسمارك اوتو (١٨١٥-١٨٩٨) ـ رجل دولة وديبلوماسي في بروسيا والمانيا .

توصل عن طريق الحروب الاغتصابية والاجراءات الديبلوماسية الناجحة الى توحيد المانيا بزعامة بروسيا (عام ١٨٧١) ، وشغل منصب مستشار الريخ في امبراطورية المانيا . قدم مساعدة حربية للبرجوازية الفرنسية المعادية للثورة (الفرساليين) في قمع كومونة باريس قمعاً دموياً . ـ ص ٥٣ .

٤٣ ـ **بتروشكا** ـ خادم قن ؛ شخصية في رواية نيقولاي غوغول «النفوس الميتة» : كان يقرأ الكتب بتهجي المقاطع دون ان يفهم مضمونها ومهتماً فقط بعملية القراءة الميكانيكية . ـ ص ٥٣ .

٤٤ ـ **دوتوف الكسندر ايفانوفيتش** (١٨٦٤-١٩٢١) ـ ضابط في الجيش القيصري . في ١٩١٨-١٩١٩ ، احد قادة الثورة المضادة القوزاقية في الاورال . في عام ١٩٢٠ هزمه الجيش الاحمر .

كراسنوف بيوتر نيقولاييفيتش (١٨٦٩-١٩٤٧) ـ جنرال في الجيش القيصري . في ١٩١٨-١٩١٩ ، قاد جيش القوزاق المعادي للثورة في منطقة الدون . ـ ص ٥٣ .

٤٥ ـ المقصود هنا الفتنة المعادية للثورة التي قام بها الفيلق العسكري التشيكوسلوفاكي . هذا الفيلق كان قد تشكل في روسيا قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية من اسرى الحرب التشيكيين والسلوفاكيين . نظم الفتنة امبرياليو دول الوفاق . بدأ الهجوم في ايار (مايو) ١٩١٨ . بالاتصال الوثيق مع الحرس الابيض والكولاك ، احتل الفيلق التشيكوسلوفاكي قسماً كبيراً من منطقة الفولغا والاورال وسيبيريا ، واعاد سلطة البرجوازية في كل مكان . في خريف ١٩١٨ حرر الجيش الاحمر منطقة الفولغا ؛ وفي اواخر ١٩١٩ ، منيت الثورة المضادة في سيبيريا بهزيمة ماحقة نهائية . ـ ص ٥٣ .

٤٦ ـ **بيبل اوغست** (١٨٤٠ـ١٩١٣) ـ من ابرز قادة الاشتراكيـــة ـ الديموقراطية الالمانية والحركة العمالية العالمية . ـ ص ٥٣ .

٤٧ ـ يقصد لينين مقالته «المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية» التي نشرت في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩١٨ في جريـــدة «البرافدا» وجريدة «ازفيستيا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا») والتي صدرت كذلك في كراس على حدة . ـ ص ٥٦ .

٤٨ ـ **يهوذا غولوفليف** ـ نموذج الملاك العقاري الاقطاعي المرائـــي والمنافـــق ، الموصوف في مؤلف سالتيكوف ـشدرين «الســـادة غولوفليف» . ـ ص ٥٦ .

٤٩ ـ **الليبردانيون** ـ تسميـــة ساخرة اطلقت على زعيمي المناشفة ليبر ودان وكذلك على انصارهما بعد صدور مقالة ديميان بيدني بعنوان «ليبردان» في الصحيفة البلشفية «سوسيال ـديموقراط» ، العدد ١٤١ بتاريخ ٢٥ آب ـ اغسطس (٧ ايلـــول ـ سبتمبـــر) ١٩١٧ . ـ ص ٥٧ .

٥٠ ـ **«النشيطون»** ـ التيار الايمن المتطرف في حزب المناشفة . اقر بطرائق النضال المسلح ضد السلطة السوفييتية وطبقها عملياً . اشترك «النشيطون» في الاعمال المعاديـــة للثورة وفي الارهـــاب الابيض معتمدين على مساعدة المتدخلين الاجانب العسكريـــة والمالية . ـ ص ٥٧ .

٥١ ـ **سافينكوف بوريس فكتوروفيتش** (١٨٧٩ـ١٩٢٥) ـ احـــد قادة حزب الاشتراكيين ـ الثوريين . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، احد منظمي النضال المسلح ضد السلطة السوفييتية .
بوتريسوف الكسندر نيقولاييفيتش (١٨٦٩ـ١٩٣٤) ـ احد زعماء المنشفية . ـ ص ٥٧ .

٥٢ ـ يقصد لينين خطاب اوغست بيبل في ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٠ في مؤتمر الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي الالماني في مغديبورغ . ـ ص ٥٨ .

٥٣ ـ راجع عن برنشتين الملاحظة رقم ١٠ .
كولب ولهلم (١٨٧٠ـ١٩١٨) ـ اشتراكي ـديموقراطي المالي . انتهازي ومحرف متطرف . ـ ص ٦١ .

٥٤ ـ المقصود هنا «**الوسطية**» ـ وهي تيار انتهازي في الحركة العمالية العالمية . شغل الوسطيون في احزاب الاممية الثانية موقفاً وسطاً بين الانتهازيين السافرين والجناح اليساري ، الثوري ؛ ومن هنا اسم «الوسط» . كان كاوتسكي احد نظريي الوسطية . دعم الوسطيون الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية في جميع المسائل الرئيسية ساترين هذا الدعم بالجمل والتعابير اليسارية . ـ ص ٦٢ .

٥٥ ـ **الجناح اليساري الزيميرفالدي** ـ تشكل في المجلس العام الاشتراكي العالمي في زيميرفالد في ايلول (سبتمبر) ١٩١٥ . وكان يضم ٨ مندوبين من المنظمات التالية : اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا والاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين من اسوج ونروج وسويسرا والمانيا والمعارضة آلاشتراكية-الديموقراطية البولونية والاشتراكية-الديموقراطية في الاقليم اللاتفي . ناضل الجناح اليساري الزيميرفالدي الذي كان يترأسه لينين ضد اغلبية الوسطية للمجلس العام وقدم مشروعي قرار وبيان شجبا الحرب الامبريالية وفضحا خيانة الاشتراكيين-الشوفينيين واكدا ضرورة النضال النشيط ضد الحرب . رفضت الاغلبية الوسطية للمجلس العام هذين المشروعين . ولكن الجناح اليساري الزيميرفالدي استطاع ان يدرج في البيان الذي اقره المجلس العام جملة من الموضوعات الهامة من مشروع قراره . وقد اعلن الجناح اليساري الزيميرفالدي انه سيبقى في اتحاد زيميرفالد العام ولكنه سيقوم بنشر آرائه وبعمله المستقل على النطاق العالمي . ـ ص ٦٤ .

٥٦ ـ يستشهد لينين «بمقدمة» انجلس لمؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» . ـ ص ٦٥ .

٥٧ ـ راجع كارل ماركس . «الحرب الاهلية في فرنسا» . ـ ص ٦٥ .

٥٨ ـ **السبارتاكيون** ـ اعضاء منظمة الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين الالمان الثورية ، فريق «سبارتاك» . هذا الفريق أسسه في بداية الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤-١٩١٨) كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وفرانز مهرينغ وكلارا تسيتكين وغيرهم . قام السبارتاكيون بالدعاية الثورية بين الجماهير ، ونظموا نضالات واعمالاً ضد الحرب ، وقادوا الاضرابات ، وفضحوا طابع الحرب العالمية الامبريالي وخيانة زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الانتهازيين ، ولكن السبارتاكيين اقترفوا اخطاء جدية في مسائل

النظرية والسياسة . وقد انتقد لينين غير مرة اخطاء الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين الالمان هذه ، وساعدهم في اتخاذ موقف صحيح .

في نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، انضم السبارتاكون الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل الوسطي مع احتفاظهم فيه باستقلالهم التنظيمي . في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، اثناء الثورة في المانيا ، تشكل السبارتاكيون في «اتحاد سبارتاك» ونشروا في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ برنامجهم ، وقطعوا صلتهم «بالمستقلين» . في المؤتمر التاسيسي المنعقد من ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ الى اول كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، أسس السبارتاكيون الحزب الشيوعي الالماني . — ص ٧٣ .

٥٩ — المقصود هنا مقالة كاوتسكي «آفاق الثورة الروسية وقواها المحركة» . — ص ٧٧ .

٦٠ — راجع مقالة ماركس «البرجوازية والثورة المضادة» . — ص ٧٨ ..

٦١ — حدث انفصال حزبين جديدين عن حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين — هما حزب «الشعبيين-الشيوعيين» وحزب «الشيوعيين الثوريين» ، — بعد اغتيال الاشتراكيين الثوريين اليساريين بصورة استفزازية للسفير الالماني ميرباخ وبعد فتنة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين في ٦—٧ تموز (يوليو) ١٩١٨ .

شجب «الشعبيون-الشيوعيون» نشاط الاشتراكيين-الثوريين اليساريين المعادي للسلطة السوفييتية وأسسوا حزبهم في مؤتمر عقدوه في ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ . وفي ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ اتخذ مؤتمر الحزب فوق العادة بالاجماع قراراً بحل الحزب وبالانضمام الى الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . تشكل «حزب الشيوعية الثورية» تنظيمياً في المؤتمر المنعقد في موسكو من ٢٥ الى ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ . وفي ايلول ١٩٢٠ اتخذ حزب الشيوعيين الثوريين قراراً بالانضمام الى الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . وفي تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه ، سمحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا للمنظمات الحزبية بان تقبل في صفوف الحزب اعضاء حزب «الشيوعيين الثوريين» السابق . — ص ٧٨ .

٦٢ — راجع رسالة ماركس الى كوغلمان بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٧١ . — ص ٨٣ .

٦٣ ـ **افكسنتييف نيقولاي دمتريبفيتش** (١٨٧٨ـ١٩٤٣) ـ احد زعماء حزب الاشتراكيين-الثوريين . وزير الداخلية في الحكومة الموقتة البرجوازية .

ماسلوف س . ل . (من مواليد عام ١٨٧٣) ـ اشتراكي-ثوري ، وزير الزراعة في الحكومة الموقتة البرجوازية . ـ ص ٨٥ .

٦٤ ـ **لجان الفلاحين الفقراء** ـ تم تنظيمها بموجب مرسوم اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا بتاريخ ١١ حزيران (يونيو) ١٩١٨ «بشأن تنظيم فقراء الريف وتزويدهم بالحبوب وسلع الضرورة الاولية والادوات الزراعية» . في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، اندمجت لجان الفلاحين الفقراء في السوفييتات الريفية . ـ ص ٨٦ .

٦٥ ـ يقصد لينين «بازمة تموز» الفتن الكولاكية المعادية للثورة في محافظات البلد الوسطى وفي منطقة الفولغا وفي الاورال وسيبيريا خلال صيف ١٩١٨ ، هذه الفتن نظمها المناشفة والاشتراكيون-الثوريون بدعم من المتدخلين الاجانب . ـ ص ٨٦ .

٦٦ ـ **البلانكية** ـ تيار في الحركة الاشتراكية الفرنسية كان يقوده الثوري البارز والممثل المعروف للشيوعية الطوباوية الفرنسية ـ لويس اوغست بلانكي (١٨٠٥ـ١٨٨١) . كان البلانكيون ينتظرون «خلاص الانسانية من عبودية العمل المأجور لا عن طريق نضال البروليتاريا الطبقي ، وانما عن طريق مؤامرة تعدها أقلية غير كبيرة من المثقفين» (لينين) . استعاض البلانكيون عن نشاط الحزب الثوري بنشاط جماعة سرية من المتآمرين ، ولم يحسبوا الحساب للحالة الواقعية الملموسة ، الضرورية لانتصار الانتفاضة ، واهملوا الارتباط بالجماهير . ـ ص ٨٧ .

٦٧ ـ المقصود هنا مشروع قانون اشتراكي-ثوري قدمه وزير الزراعة س . ل . ماسلوف الى الحكومة الموقتة قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية ببضعة ايام .

نص المشروع على انشاء صندوق خاص للتأجير تحال اليه اراضي الدولة والاديرة ، وعلى صيانة الملكية الاقطاعية للارض . كذلك نص المشروع على ان يحيل الملاكون العقاريون الاقطاعيون الى صندوق التأجير الموقت الاراضي التي كانت تؤجر من قبل وحدها دون غيرها ، علماً بانه يجب ان تحال الى الملاكين العقاريين الاقطاعيين مدفوعات الفلاحين عن «الاراضي المستأجرة» .

قامت الحكومة الموقتة باعتقال اعضاء لجان الارض رداً على انتفاضات الفلاحين واستيلاء الفلاحين على اراضي الملاكين العقاريين الاقطاعيين . — ص ٨٩ .

٦٨ — «(الوصايا)» — المقصود هنا «الوصية الفلاحية عن الارض» التي وضعت على اساس ٢٤٢ وصية فلاحية محلية واصبحت جزءاً لا يتجزأ من «مرسوم الارض» الذي اقره مؤتمر السوفييتات الثاني لعامة روسيا في ٢٦ تشرين الاول — اكتوبر (٨ تشرين الثاني — نوفمبر) ١٩١٧ . — ص ٩١ .

٦٩ — المقصود هنا مؤلف لينين «البرنامج الزراعي للاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الروسية الاولى ١٩٠٥-١٩٠٧» . — ص ٩٢ .

٧٠ — راجع : كارل ماركس ، «نظرية القيمة الزائدة» . القسم الثاني . — ص ٩٧ .

٧١ — راجع رسالة انجلس الى ببيل بتاريخ ١٨-٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ . — ص ١١٥ .

٧٢ — المقصود هنا كتاب Ostrogorski, M, «La Democratie et les Parties Politiques» (اوستروغورسكي . «الديموقراطية والاحزاب السياسية») . صدرت الطبعة الاولى في باريس عام ١٩٠٣ . يتضمن الكتاب مجموعة كبيرة من الوقائع والمواد من تاريخ انجلترا والولايات المتحدة الاميركية تفضح زيف الديموقراطية البرجوازية ونفاقها . — ص ١١٥ .

محتويات

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧
موسكو ـ الاتحاد السوفييتي

مؤلفات ماركس انجلس لينين





يتعذر فهم العالم المعاصر والعمليات الجارية فيه بدون الاطلاع على اعمال ماركس وانجلس ولينين .

ان دار «التقدم» تصدر هذه الاعمال باكثر من خمسين لغة من لغات شعوب العالم ، وذلك في صيغة مؤلفات مختارة ، ومجموعات تتناول مواضيع معينة ، واعمال متفرقة . كما وتصدر الدار كراسات تعين على تفهم اهم تلك الاعمال .

وتضم السلسلة الحالية بعض المجموعات واهم الاعمال ، التي يبسط فيها كلاسيكيو الماركسية اللينينية مذهبهم في تطور الطبيعة والمجتمع والفكر ، ويدرسون العلاقات الاقتصادية الاجتماعية المميزة للراسمالية ، ويتتبعون القوانين الاساسية لتطور الاشتراكية .

لينين | الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي

دار التقدم